ما العجب؟!

أليس كل مُتفاهمين قصة حب أسطورية وإن لم تُروي؟!

تأليف

زينب سنبل

طبعة ٢٠١٩

سنبل، زينب

ما العجب؟!/ زينب سنبل؛ - الجيزة: أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي، ٢٠١٨ .

١١٦ ص, ٢٠ سم

تدمك: ٧٤٢٧ ٣٩٩ ٩٧٧ ٩٧٨

١- القصص العربية القصيرة

أ- العنوان

٨١٣,٠١

ما العجب؟!

أليس كل مُتفاهمين قصة حب أسطورية وإن لم تُروي؟!

تأليف

زينب سنبل

رئيس مجلس الإدارة

عادل المصرى

عضو مجلس الإدارة

المشرف

نوران المصرى

رقم الإيداع

٢٠١٨/٢٣٢٥٩

الترقيم الدولى

٩٧٨-٩٧٧-٣٩٩-٧٤٢-٧

الطبعة الاولى

طبعة ٢٠١٩

الكتاب : ما العجب؟!

المؤلف : زينب سنبل

الغلاف : أحمد فرج

الناشر: أطلس للنشر والإنتاج الإعلامى ش.م.م

٢٥ ش وادى النيل – المهندسين – الجيزة

sales@atlasdic.com

www.atlas-publishing.com

تليفون : ٣٣٤٦٥٨٥٠ – ٣٣٠٤٢٤٧١ – ٣٣٠٢٧٩٦٥

فاكس : ٣٣٠٢٨٣٢٨

****

إهداء

جِلبابُكِ الواسع شَجرتي التي طالما وَجدتُ فيها ثمراً أشبعُ مِنهُ

وأجلس تَحت ظِلها لأستريح،

أزرارُ أكمامكِ محطات عُمري، أتنقلُ فيها وأسيرُ بين طُرقاتِها

تفاصيل ضَحكاتكِ مَخْبَئي

وعيونكِ نَهري الصغير الذي أتوضأ مِنهُ.

أُمي♡

«ذوبانُ الأحلام»

- «ذَلك الأبيض المُحارب، المُنتصر علي سواد عَينيكَ فأصبحتَ كَفيفة» أأوحَي لك بأن لا للسماء زُرقة، لا للرماح لمعة، أن الأرض كُلها طميُ،

لا خضار للريحان والزَهر؟

لا بُرتقالي للبهجةِ مِن خليطٍ خَفيف أحمرٍ بأصفر!

أأذاب جميعَ الألوان وقَهرها فبهتت كُلِها لرايةٍ سوداءِ؟

أأسالُ من بياضهِ علي روايتكِ، فمحي كُل حُروفٍ عن كوكبُك الزهري!

- «كُرسيُ مُتحرك»، أأنت له سائِق أجير؟

تُدورُ أنت له العجلات، وهو قائد وربان يَختار الأماكن والاتجاهات!

أختار لك أين تَمكُث؟ أين تَذهب؟

أَحَرّم عليك أرضيةُ ملاعب الكُرة، بِحجة أن الأماكن هُناك مُخصصة للأرجُل السليمة فقط؟

- «دقات الساعة الخامسة فجراً، حِينما قُبض عليها وكُشف سِترُها إنها أشهر العاهرات في بلدتكِ!»

لكن بِطاقتها وسطور إسمُها، ذُكر فيها فقط معاني الأمومة!

أأسكت صوتُ تلك الثَّواني، صوتُكِ العذب الذي ملئتِ بنغماتهِ أركان صدركِ!

واستنشقت رِئتيكِ أطول شَهيق لصوت طِفل من بَعيد، بأنكِ قدوة لهُ وفارسة دُنيته!

أأخرس ذلك الإخلاص الذي مَسح علي قلبُكِ، فأنبتُه حُلماً بأنكِ داعية للإنسانية!

– «حروقكِ التي تملأ وجهكِ، وعِظامك الصغيرة قصيرةُ القامة»أأكسبتكِ صِفة العُزلة؟

أجعلت وجهكِ لصُ هارب من الضيوف!

يُلقي مهُمة الترحيب علي جِيرانه، وكوب عَصير من خلف سِتارة سميكة القُماش؟

إن أخطأ الهواء وأمالها، فأظهرت وجهكِ، وضعتيها ضمن «مخزون الأقمشة الهالكة»؟

أأحرقَت إبداعُكِ!

أأخافتكِ مِمن يتأمل لوحاتُكِ، أن يتأمل وجهَكِ معها!

«أأخافكِ ثِقل وزن ذلك المُجسم المُلون، الذي تقومين بصُنعهُ، ليُصبح أضخم وأعظم لوحة بالعالم!

أحذر عِظامكِ من حَملِه! أهددها بِالهدمِ جزاءً وعقاب!»

أتدرين؟ ... تلك الحروق أذابتها ألوان طيف رسوماتكِ، وانعكس ضِياؤها عليكِ، فأصبحتِ جَميلةُ الجميلات!

أما تلك العظام الصغيرة، تمني بيكاسو أن يَصغر معها، كالكُتيب الصغير اللامتناهي الصفحات، الذي أصبح بِكُل يَد كبيرة وصغيرة، بعدما سطر العالم كُله العناوين الرئيسية بهِ ألا وهي:-

«أحلام غير قَابلة للذوبان»

فقط عِندما هَزمهُم ذلك الطمُوح بصغير عِظامكِ.

«تلك دقات الثواني التي كُشف فيها سترُها، جَعلتها تذوق من الدموع المُنهمِرة، حبات توبة وندم، وكتاب سُطرت كلماتُه بحروفٍ من نور، قذفت بِقلوب العاهرات العفة والندم، وتلك السجينة بِسجنها، خرجت منهُ نقية تقية، فأفاضت عليكِ من أحاسيس مَغفرة اللّه، لتكوني أروع داعية مُؤثرة للإنسانية.

أما ذلك الكُرسي المُتحرك، لولا مكوثكِ عليه، ولولا الوثبات العالية التي تعشقُها يديك، وقامت بِتقمُصها لحين شفاء قدميك، لما وُجدت لعبة كُرة الريشة، ورمي الرماح بالجلوس، ولا كُرة الطائرة باليد فقط !

أما ذلك الأبيض، جعل الشُعراء هُم فقط رواد الفضاء، ليَصِفوا بأبيات شعرٍ كوكبُك الزهري، وكُنت أنت مصدر إلهام الأطفال، جَعلتهُم يخترعون لِعبة الغُميضة غيرة منك، ليُخبروك بأنك لست الوحيد الذي تُجيد لعبة تغميضُ العيون، فَهُم أيضًا يُجيدونها، وفي تلك الثواني التي يُغمضون أعُينهم فيها، يبدو لكلُ منهم كوكبُ خاص به كوكبُك الزَهري، فيركضون، يلعبون، يتمسكون بنُجومه، حالمين بُكل ألعاب الدنُيا ومرحِها.

«أما الجميلة «برايل» فلن تَنسي فضلُك عليها، بعدما اخترعتها بتميُز، لتُصبح لُغة القراءة باليد الفريدة من نَوعها، ولُغة الكِتابة الوحيدة صانعة معزوفات موسيقية، حينما يُكتب بها، وقَلمُها الخاص المُكتفي ذاتياً، ليس كباقي الأقلام، فهو يَكتبُ دون حاجة لِحبر، ومَسطرة ضخمة لا تحتاج ارتياد المصايف، فَثقوبها تُنعشها بهواء حينما يُسطر بها .

كَم كنُت أتمني أن أكون الجميلة برايل!

- «شروط تحقيق الأحلام»:-

خَدم يضعون للأمير المَلح والسُكر بالجِرامات، خوفاً من زرة ملح زائدة تُفسد مذاق شهيتهُ، رداءُ الأميرات، أخُ بروفيسور في جامعة هارفرد، أُخت هي ملكة جمال فينزويليا وبالأكيد جَمالُها

نصف جمالُك، قوة عضلات الديناصورات، أبُ مِن أصلٍ إغريقي، سُلحفاة نادرة تأُكُل اللحم وتَحيكُ الثياب، إنها شروط الأحلام، وضعها الكسالى، ليثبتوا أن بيوت الملائكة هي الأرض الخِصبة الوحيدة التي تَنبتُ فيها الأحلام!

وأن بُيوت البشر، أرضُ تمنعُ الماء والهواء، فيُصبح حلِمُك ضمن الجوعى والعُراه!

« لِتعلموا..

إن الأحلام لا تشترط كم في المائة لديك من المثالية الملائكية!

إنما تَشترط كم لديك في المائة من الإنسانية!

«وكوني لستُ من الملائكة»؟

أذوبُ ويذوبُ معي الحُلمُ!

أأوأد شِعري لكون لساني به بُكمُ!

أأفجرُ لعبةً لكونِها بلا حراك القَدمُ؟

مُذنبةُ أمي، فأخرس خِطابي للأمم؟

أأُنصبُ كُرسيُ مَلكاً للهممُ!

أأنصرُ الأسود علي الألوان بالرسم!

أأُصدرُ لعظامي قراراً بالهدم؟

أأحرق لوحاتي وأنيسي القلمِ!

أأذوبُ ويذوبُ معي الحلمُ!

«فقط اجعلي بيوت الأحلام تتنافس ليخرُج منها حُلمكِ، أكثرُهم احتراما لقطرات الإرهاق التي تُلامس جَبهتِك، أكثرهُم إصابتك بالحُزن بُمجرد فُراقِه لثواني، أَخلصهُم رِكوعاً قَبلك للّه لينال السداد والتوفيق، أمهرُ من فيهم رمياً للفشل بسِهام المُحاولة والصبر، أدقَهُم صُنعاً لألوان الطُموح ومَزجاً لها، أرحمهُم احتواء لكِ في أسوأ حالاتِك، فإن كان بكِ مَرضٌ لا شفاء له!

كان هو كيميائيًا نَجيب يخترعُ جُرعات أمل تُداوي جَرحكِ، وإن كُنتِ بلا أم وأبِ! وجدتيه شجرةُ عائلة مُثمرة، بمائة قريب من الدرجات الأُولي والثالثة للتاسعة والثلاثون ... إنهُ حُلمُكِ.

●●●

خطأ إملائي ؛

يـا حبيبـي، خطـأ إملائـي غيـر مقصـود، تِلـك الأخطـاء القدريـة الجميلـة حتميـةُ الحُـدوث، لا مَجـال لـك فِيهـا، ولا يـدٍ عليـك بهـا خُلقـت مـن أجلِهـا وفُصلـت هـي لـك ! لـك أنـت دون غَيـرك ، لـم يَكُـن لدينـا خيـار إمـا أتعلـم، إمـا نُطعـم، والجـوع أقـوي وأشـرس فأصبحـت حبيبتُـك أُميـة، لا قِـراءة لا كِتابـة، فقـط رسـوم سـريالية!

«تِلـك الخطـوط العريضـة، إنمـا هـي مُتون الكُتـب، تِلـك النصـف دوائـر إنمـا هـي فواصـل الجُمـل والعِبـارات، تلـك الفراغـات بينهُـم .. إنمـا هـي علامـات تعجُـب!

خفيفة الظِل، بسيطة السؤال؟

لا أحد يَعي سيريالية هذا المشهد إلا فَتاة كظروفي ، كحالتي!

«فقرٌ و تعلُم، شيطانٌ رجيم وملاكٌ رَحيم»، أيُ الجمع يجتمعان؟

وأي تفاهم بينهُما يَسري!

فقر لا مواثيق له!

إما أن تُطعم نفسك إما يُطعمكَ هو!

إن لم تسقي نفسُك، شَرب وإستشري من أحلامك حتي تَجف!

لا جدال معهُ، لا فُرصة للنِقاش ..لا تَفوهُ...حتي إيماء الرفض محظور.

«ذلك الذي يُدعي هِتلر!

إنما هو تلميذٌ طاغية .. من تلاميذه في الصفوف الأولي.. لم يتخطى الروضةُ بعد!

جبابِرة تجمعت في فردٍ واحد .. إستشري .. كَبُر .. تَضخم .. تَفاقم حتي أصبح الوحش الأوحد ذو الثِقل، غِذائهُ الأول الهَم والجذع، فاكهته وحلواه «أحلام وطموح». يُصنف ضِمن «أشرس آكلي طموح البشر»، هكذا طَبعهُ حتي تُفتح شهيتهُ، هكذا طبعهُ حتي يزداد لذة!

أيُ مِنا يَقفُ أمامه! أيُ مِنا ينتزع نفسهُ مِنهُ!

أي يُغاث!

أي يَفرُ من دون قضمة هُنا في جسده.. قَضمة هُناك مِن روحه؟

قضمة هُنا وقضمة هُناك، أَيُ؟! ... غير من قَدر وتمالك قوت يومه!

فما بالُك بفتاة لا يملك أهلُها سِوا فُتات الأقوات؟

فقيرة حبيبتُك أُمية، عزيزة الأنفُس، نقية الثياب،

«كُنت أري أطفالاً بِمثل عُمري يَكتبون، أُدقق النظر مِن بعيد، أغارُ مِنهُم!

أضغطُ علي أسناني حِقداً بريئاً لَهُم، أُدبدب بالأرض لطيفاً، كأني أُخبرهم «إني هُنا، نادوا عليا وإن كُنتم لا تعلمون لي إسماً.. نادوا عليا بِمجرد شيء... وإن كان يا هذهِ... يا تِلكَ ..!!

نادوا عليا أبسط ظهري لكُم مِنضدة، وها هي كُفوفي، بالأحبار عليها سَجِلوا !

إرسموا علي وجهي إنه رقيق الملمس والمرسم!»

«ما أروعه ذلك القلم، ما أرقاها تِلك الصفحة التي ضحت بِفراغها، لتمتلئ بتجهيزات الآخرين. أحلامِهم .. رسوماتِهم .. حتي أخطائهم الإملائية!!

«أتراني ؟..... أتغزلُ في همزة وصل، تشكيلُ بالضم ، مَدُ للياء، أتأملهم، أرسمهُم بقلبي حتي يزدهروا، تَكبرُ همزة الوصل لِتُصبح عائلة بأكملِها .. أحفاد وأنسال.

يُشكل الضم حتي يُصبح إحتواءً كاملاً لا نُقصان فيه!

«كانت الأجراس تَدق، وقلبي معها يرتحل ، تمارين صباحية هي رَقصاتي بالمساء وراحتي، حتي مقاسات الزِي المدرسي، أعلمُ سنتيمتراتها وبأي ألوانٍ مُحكمة»!

زيُ مدرسي...وَردي اللون، وكأنه رِداء سِندريلا!

إرتدتـهُ هـي سِـحراً... لتتيمـم بِـه مـن قهرهـا، وأرتديـهُ أنـا تخيُـلاً... لأتيمـم بِـه مـن أُميتـي!

«كنتُ أذهبُ خِلسة أُنظف حِصن المدرسة، حتي إنني كُنت أُعاقبني بلا ذنب، حتي أشعُر بِهم، عددتُ أجحار السور، أيهما مكسور؟

«وكم واحدة تحت الترميم»؟

وما ذَرة اللون التي بهتت علي اليافطة العتيقة؟

«أتلمس شفتي..أتذوقُ قِطعة مربي سقطت مِن فم طفلة هُناك، ما أطعمُها، زائد سُكرها.. وعصير ليمونها».

يا حبيبي، يا حرفاً أنت لم أخُطَهُ مِن قبل وتشكيلُ لم أُنمقه بعد، إني تَعلمتُ بعد كل هذا، بسيطاً بسيطاً إشتريت ورقة و لوني المُحبب.

راجعتُ الأبجدية كُلِها كاملة، أخذت موقعي هكذا، ها هي الشمس تأتي تجلس بِجواري، لِتضُيء لي .. فأيُ خطابٍ هذا! وبأي نورٍ يشع!

وها أنا بدأت أُراسلك بخط اليد.. فقط لــ أكتب لك،

(أُحبك) فتقبلها من قلبي وإن كان بها خطأ إملائي؛

●●●

حبيبي ؛

بُدل إسمِك وأنت راضٍ فأصبحت حبيبي، لم أكُن أعلم إن كنت موجود أم لم تُخلق بعد، كُنت أبحثُ عَن نفسي صدقاً لأجدها، ومنها أجدُك أنت.

وها أنا أصبحتُ قَدرُك الجميل، فأعلم عني كَثيراً قبل الزواج! «رُبما لسنا منهُم، لكن للملائكة خِصالُ من الممكن نحنُ البشر أن نتعلم منها، يُمتحن في طباعِهم، فآتِ واجبك أُسمعُ لك وأُراجع».

«حمداً للّه أنك أتيت قبل وفاة أُمي، لأجدُ حُضناً طيباً أرتمي مِن خوفٍ فيه، كان الأمر سيُصبح صعباً إن لم تكُن بِجواري»!

كُنت سأفقدُ وعي حُزناً، أفيقُ، أبكي، أموتُ لعامين، رُبما أعِش إن استنشقت!

ومن أين تُشتري جُرعات الشهيق إلا مِنك!

«سنُنجب تلك المخلوقات صاحبة فُتات الملامح،

نُقبل يدهم سوياً،

وتُنظف أنت يا حبيبي، ما فعلوا من فحشاء الهضم بِمُفردك

نُغني معهم، تُغني أنت لَهُم بصوتٍ خَشِن، كما مِنشار الخَشب، وأُدندن أنا لك اللحن كما نَفخ الأبواق.

لا بأس بهذا الإزعاج، أهم ما في الأمر أن نُغني سوياً.

«سيأتي علينا يومُ حَرُ المزاج، مرفوع الضغط، مُنهك من مصاعب الحياة، رُبما يكونُ بسبب قِصر يد أو سوء خاطر. سيدخُل عنوة وإقتدار، يجلس ببيتنا ليستريح، سيُحاول المبيت لصباحِ غَد!

فَخُذ من الرحمةِ بيننا، أبرحهُ بِها ضرباً علي رأسِه، ليعلم أي البيوت أتي!

وسيأتي عليك أنت يوم كاذب الإحساس، سيجعلك تبغَضُني، تُقالبني بوجه عبوس، تُثبت كُل الأقفال في وجهي، لكن عُمري كُلهُ زهورُ عليكَ، وورودٍ مني وريحان.

●●●

ميثاق الوضوء ؛

لم أعهد حبيبين توضئا إلا وكانت حياتهم مُطمئنة، لا شوائب فيها ولا عكرات، إني أُقرأُ عليك مِيثاق الوضوء ~ الزواج ~ .

لك عندي مِسكُ فعل :-

(قد خُيل لي) ، خيرتني الأيام بين ما إشتهتهُ نفسي، وامتلكهُ غيري وبينك أنت، حلالي الطيب، فإخترتُك علي عفافٍ مني وحُباً .

صُنت قلبي، ولم أُفلت أياً مِن دقاتِه لأحد .

أيُ حبُ كان سابقاً، حينما أُسألُ عنهُ؟ تلك هي إجابتي «قد خُيل لي».

(أُهون عليك الهموم، أُساعدك لنحملُها من علي كَتفيك)

أعطني تلك الهموم، جدتُك الحنونة أنا، تَحدث وأخبرني عن مآسيك وما تُعاني، لا تيأس كُلها ستذهب، ستجدُ يَداً بريئة تُزيح الأوجاع عنك، وقلباً ينبُض بالدُعاء لك.

أما أنا فلي عِندُك مِسكُ فعل :-

(تقبيلُ جَبهتي وِداً كُل مساء) :

- خلق الرحمنُ لنا الجبهة لسببين وفقط ! أولهُما سجوداً، وثانيهُما ليُقبلُ كُل حبيب حبيبته

إلزاميٌ هذا البند، مُرحلاً عليك إن نسيت مرة، غرامته مُضاعفة إن تكاسلت عمداً !

أتدري؟ «إن نقاء قلب أي رجُل وقوته، يظهرُ في إمرأة يُكرمُها، حبيبته كانت، أو سيدة قبيحة الملامح تتسول !

(سمِحاً وقت غضبك) : لا تُذهب عنك تلك البشاشة في عينيك إن أخطأت، لا تُذهب عني ستراً لعيوبي وتَجميلاً لها، تغضب فتزدادُ الرحمة عِندك.

كأنك خُلقت مِنها، وكَونت خلاياك مِن نَبتِها !

(عفيفاً ملئُك العفاف) : إن جاءتك نساءُ الكونِ كُلهُنَ، يرجون وِدُك، فأخبرهُن أنك لَست يوسفُ الصديق، فقط كل ما في قلبك، أنك تصون حبيبة شاركتك العفاف.

(ملحاً حلالاً لا فاكهة خبيثة) : الحرام يُنغصُ العيش، يُلطخُ النقاء بسواد العواصف، يُلطِمُ الوجوه، يشُق الثياب، وإن كان النغم والألحان مِلء القصور! إن قَطرةُ ملحٍ ذائبُة حلال، تغمرنا عافية، أفضلُ مِن رزقٍ مسروقٍ، أو حتي شبه شك.

●●●

يُحكي ؛

أُريد أن أخبرك شيئاً يا حبيبي، يُحكي عن مدينة بأطراف الكُرة الأرضية.

فِيها إحتفالات الزواج، ليست فقط عقدُ وقرآن، إنما دمجاً للقلوب، قرأتُ بالموسوعة التوضيحية لها، أن هُناك دُولفينُ صديقٌ للبيئة، يصنعُ طاقاتٍ شمسية، لا أعلم علي يد من تدرب !

ولا أي الفصول ارتاد!

شديدُ الذكاء وسيمُ الملامح!

قويُ البُنيان، واسعُ الهيبة، عيناه بُنية و يداهُ رقيقة، يأتي كل يوم بِرفق من الفعل، و يُلقحُه بالحنان، ليصنع مِنه مصلاً واقياً، يُعالج به الطُغاة والجبابرة من قسوتهم!

«حبيبته الجميلة، ستُنجب صغيراً عما قريب، إني أُريد مبيتاً معهم هذه الليلة، لرُبما يحتاجون شيئاً، يُولد الصغير، أحتضنهُم أنا ويَقُصوا لي حِكايات كُلِ عُشب، أسرارُ الزعانِف والقُشور، أُقبلهُم ثم أعود.

ما هذا الذي بعينيك!

أراك تُفكر ألا نبيت هُناك!

أتعلم إن فعلت!

لأُقيدك، وأُأجرُ عليك خمس بجعات، يعزِفن نقراً بِرأسك مقطوعة لبيتهوفين.

حتي تُخبرني يقيناً..أنك تُحبهُم مِثلي وأننا سنبيت.

«إني تحسستُ مجرةً رائِعة، أقامت عِند حُدودِها كُتلة مِن النيازك والشُهُب!

نيزكُ تَقي، وشِهابُ ودود، كُل يومٍ يُدرسِن لصِغار المدينة، كيف الإتقان والإحسان؟

تَلمسُهُم معي، ها هو نقشٌ ملائِكيٌ بسيط، مُكعبِ عِطر مِن قُبلات مليكة النحل يُغزل، رائحة حليبِ يُطهي، فاملأ فؤادك مِنها وتنفس مِلء أركانك.

«أتري!

ديناصورات أنيقة، عاقِلة، تَحمي شلالاً من الفانيليا يسيل علي نهرٍ من الشوكولاتة الخفيفة، ها هي حوريات بَريئة تغرفُ مِنه للمُتحابين، تقيسُ صِدق القلوب، كُلما صَدُق حبك، كُلما ارتوي من الشلالِ قلبُك».

شلالٌ لا توقف لهُ، زائدٌ لا ينقُص، ينبوعُه السماء.

فأيُ المذاقِ تشعُر! وأيُ ارتواء إرتويت!

«أتسمع ، سيمفونية الكمان هي السائدة هُنا،لا عزفُ ولا شغف غيرها. فآتي كفيك علي كَفي لنرقُص، بين الخطوة والخطوة سلمٌ موسيقيٌ رقيق، نخطو عليه بِهدوء وأناقة، فذلِك رشيقُ القلب لا يتعب من الحياة، لا يملُ أبداً، بل تعزفُ دقاتِه نغماً جميلاً صادقاً، لم يُسمع مِثله مِن قبل!

«يا حبيبي، أعلمُ أننا لن نسطع فِعلياً الذِهاب هُناك، ليس بِمقدورِنا الآن، لكن مؤكداً عما قريب.

لا بأس، فذلك الدولفين إستعار مِنك بعض الملامح، إنما هو شبيهك فقط !

شربة الماء مِنك، بشلالات الفانيليا كُلِها، صوتُك ونداؤك عليا، كحوريات بالكمان تعزِف، قلبُك سكنٌ بالكونِ كُلُه، لا نيازِك ولا كوكب، ولِمَ لا !

فأنت تِلك المدينة.

●●●

هذا بيتنا ؛

«أهـلاً ومرحبـاً بِكُـم في بَيتنـا، سـآخذكم نتجـول فيـه عقـلاً وروحـاً، نتجـول فيـه علـي كوكـب الأرض، لا تِلـك الكواكـب القُرمزيـة التـي يُتحـاب عليهـا !

«منزل جميل، لاشيء غير ذلك، واجهته كَكُل البيوت المجاورة،

لا شيء يختلف

لا دافع للإنبهار !

إن لم نُشرِ نحنُ عليه بأرقام ومُسميات طرق

لن تعثُر عليه أبداً، وإن تجولت بعدسة مارد أو خيال جان

«تِلـك حُجـرة الضيـوف، إنهـا بسـيطة، واسـعة، علـي بسـاطتَها وجمالهَـا، فهـي أكـرم مـن بالبيـت، وضيوفنـا هُـم سـؤال الكَـرم ؟

نِعـم الجـواب « أن نُطعمهـم، وإن كانـت آخـر لُقيمـات بالبيـت، ليـس عندنـا سـواها، نؤنسـهم، وإن كان بِنـا وحشـة، نغمُرهُـم انتعاشـاً، وإن كان بالبيـت حبيـبٌ لنـا مريـض ونحـنُ الآن نُداويـه، بحـب تطيـب تلـك الجِـراح، وبسـعة ورحـب نُكـرم هـؤلاء الضيـوف «ليتنا نُقيم لأيام أكثر»، أتمني أن تُصبح هذه هي أُمنيتهم وهُم يُغادرون

«هـذه زاويـة بالبيـت، خاليـة مِـن الشـوائب الحياتيـة، تمكـث فيهـا فقـط وسـادة ضخمـة، مُريحـة الإتكاء، يَزيدهـا تفصيـلاً نقشـاً مـن ألـوان سُـكبت، بجوارهـا شـجرة ياسـمين مُثمـرة، قـد أكثـرت مـن إنجـاب الجـذور والفـروع، أبناؤهـا بـررة، يُزيدونهـا إنتعاشـاً وخضـاراً زاهيـاً»

وهـا هـي نافـذة صغيـرة مِنهـا للسـماء، إن زادت عليـا مصاعـبُ الدُنيـا كثيـراً، آخذنـي وأذهـب إليهـا، أتذكـر فِيهـا الطيـب والمِسـك، أهـدأ وأرتـاح، ثـم أعـود ونَفسـي وطلـة بقلبـي مُتفائلـة، «سـأُقرضها لـك هـذه السـنتيمترات يـا حبيبـي إن حزنـت، أُوصـي النافـذة تُدخـل عليـك نسـيماً رطبـاً، أُوصـي لـك زهـور الياسـمين أن تفـوح».

«أفسـح، كثيـراً، لأجلـس بِجـوارك « نعـم، ضـاق بـي البيـت بمـا رحـب !

إنكمشـت كل الأريكات وتقلصـت، أعلنـت وحدتهـا و عِصيانها، إلا أريكتك التـي تجلس عليهـا، أفسـح قَليـلاً، إنـي أسـعد كثيـراً وأنـت بالجـوار، أجلـس بجـوارك لأُضفـي علينـا بعـض الإبتسـامات، لا أُحدثـك إلا نَـادراً، فقـط أنظُـر إليـك وأبتسِـم، ثـم أدر وجهـي، ثـم تذهـب عينـاي عليـك مـرة أُخـري، فتنظـرُ لـي مُتعجبـاً !!

«لا يا حبيبي، لم يمسَني جانُ ضَحوك مُستبشر،

إنما وجودك قد كفاني التبسم

تطيب الجراح إنما مِنك نظـرةُ

طبيب أنت وإن كُنت لا تعلم

أُلوِحُ لك بِكفي وأنت قريب بالجوار

أفتقدك، وكأنك مِن وطن آخـر قـادم !

أمـا لبِنـاتُ البيـت، ليسـت مـواد خرسـانية، غيـر قابلـة للهـدم، فكـم مـن جبِـال نُسـفت !

تَخلـت عنهـا صلابتهـا وتقهقـرت ! شـاخت هيبتُهـا، فتكومـت صُخورهـا تَحتمـي بالفُتـات

ناولنـي يـا حبيبـي لبنـة تفهُـم نُلصقهـا لبنـة رحمـة، هكـذا تتـراص الجُـدران، وسـقفُ البيـت نصنعـهُ غطـاء للعيـوب، والنوافـذ ماهـي إلا مسـبح فضائـي مُصغـر، نهيـمُ فيـه بخطـط الغـد وبعـد غـد !

الأبـواب ومقابضهـا العنيفـة مُهمتهـا، أن تُغلـق في وجـه اليـأس إن حـاول الإقتـراب، ولِـكُل أمـل إتخـذ العمـل رفيقـاً، تُفتـح لـه الأبـواب، تُفتـرش لـه مداخـل البيـت بالزهـور إسـتعداداً، وكُل الوصـف يُختصـرُ، واسـع الإدراك، كثيـر المحبـة هـذا بيتُنـا.

●●●

فُندق الأواني الفارغة ؛

ثُم ماذا يا كل الجَميلات؟

أمنزلُ هذا؟ أم مُستعمرة للفناجين المُلونة ؟

أحرباً ننتظر؟

مِن أجلِها أعددنا سكاكين محفورة وأُخريات ملساء !

أسيجتمع كُل عطشي الدُنيا لنسقيهم،

ولِذلك أحضرنا كُل هذه الأكواب؟

أهناك نهراً واسعاً علي الضفة الأُخرى،

وسنصنع من الأباريق جسراً لنعبُر عليه !

أم افتتحنا مطعماً ونحنُ فيه الطُهاة !

أحقاً تزوجنا؟

أم زوجنا الحُلي للأثاث، وها هي الملاعق تُصدر رنياً لتزَفهُم !

ثُم أصبحنا نَحنُ الضيوف؟

«أما أنت يا طفلي الصغير، فجناح الطائِرة التي تصنعُها مُقيد، والأحضان التي ظللت طوال اليل تحلُم بِها، ضيقها جميعاً كالثِقوب.

معذرةً يا صغيري؛

أستأجر الأثاث مكان رسوماتك الجميلة، لخمسون عاماً قادمة. وزينا البراح بالحوائط والسدود ؟!

ثم يأتي السؤال الحزين:-

- «ماذا عن عُمري وعُمرك؟

«سَبعون فِنجاناً فارغاً للقهوة، وبِضع سنين»

أحقاً نبني بمنازلنا فُندق للأواني الفارغة !

●●●

وإني أفتقدُك ؛

الجميع يُسافرون..لا بأس، يُهاجرون ...لا شيء مُهم.

أما عنك، فإني أفتقدُك، إنك سفري وهجرتي.

أتذكرُ طيباتك، وإزعاجكَ لي أكثر، لأُعيد نغم صوتك بالبيت،

لم يكُن القلب صامتٌ هكذا من قبلُ،أنت موجود،

إذن الكُل يُغني أكثر،

والروح يزدادُ رونقها أكثر، ولا شيء أكثر من أني أُحب رؤيتك،

وحينما لا أجدُك بروحي موصولاً، لا توضيح غير أن بي وجع، تجاوز حد الإحساس،، حد الألم!!

إعتزلني الكيميائي المُعالج بالحي، أغلقت العِطارات أبوابَها

أعلنوا بُهتان وصفاتِهم، وذهبن الراقيات عني، فقد تَعِبنَ، وصوتُهن ذهب. سألوا ، بأي الكواكب تُصنع حنِيتُك؟

خابوا جميعاً، أعلنوا فشل علومِهم، وتلف عِطاراتِهم ثم إعتزلوا،

بِتُ علي نفسي مُشفقة، أحتضنُ أثر ضحكاتك بالبيت،

غبت عني طوال أيام، مُنهمراً في لقمة عيش للفم،

وسافرت لشهور طويلة، وتركت عيشَ قلبي!

فضع كفيك وامسح علي قلبي يطيبُ من الوجع.

بالبيت رَجُلاً غيرك ؛

لست وحدك بالبيت يا حبيبي،

فلدينا هُنا فتاة جميلة، لكن قلبها قوي كقلوب الرجال،

لا طفلة تزوجت، ولا عجوز قاتمة معها تعيش !

إنها تِلك التي تعشقُ الضحكات واللعِب،

تعلمُ بأن البيوت تروي فيها قصص المصاعب أكثر!

للبراءة وقت، وللقوة أوقات.

فذلك المنام براحته ووسائدِه، لرُبما تتبقي منِهُ الوسائد فقط،

إن مالت الأحوال وغَدرت.

أعلم أن الأيام ليست كُلها تدليل، فهُناك أيام كمعارك طاحنة

وأطفالنا ليسوا إلا أكبر المسؤوليات، حتي يربوا ويَعقِلوا

«إن حر الأيام أكثر مِن دِفئها، وترطيب الأجواء وقت المآسي والضغوط مُهمتي، تِلك أوقات أمرضُ فيها وأنهار، وتِلك أوقات .. فيها توازني وقوتي حِفاظاً للبيت ومن فيه.

«أعـي جيـداً إن أبـواب المنـازل، لا تُفتـح إلا ل نظيـف يـد دق بأمـان، وسـر البيـت.. مِـن الكبائـر إن كُشِـفَ وحُكـي !

فلا أبواب يخرُج منِها شكوي، ولا ثُقب يتسربُ منِه عِتاب

نبيت علي هدوء، وإن كان بنا جمر!

«لنا مِن صُعوبات الحياة حظاً وفيراً ونصيب،

إختيارات فإختبارات، والنفس هُنا تظهرُ طِينتها

بأي أخلاق إرتوت !

بأي أفعال تُثمر !

فليست كُل الحِكايات أميرة وأمير،

وكلمة حبيبي وحدها، لن تفيض علينا شبعاً ولن تفي،

إن لم يَكُن الرِضا مِلءُ القلوب.

هناك أيام تُقذف فيها الصِعاب كالمطر،

وهناك حُب يرجُمها رجماً بالحجر

لكن لا خوف ونحنُ معاً، فما أجمل زوجة بِقلب برئ، تعي مِحن الأيام، وما أرقي زوج أب وحبيب، إطمئن ... بالبيت رَجُلاً غَيرَك.

●●●

ولكن ؛

«في ليلة طيبة كعادتهِ، تجَول الفجر بقلبي ليطمئن عليه،

وضع عني حياة الزوجة والحبيبة بهندامٍ وأناقة، أجلسني وهو، وكوباً دافئاً من الهدوء،

نتبادل الأسئلة كمولودان تواً لا نعلم عن الكون شيئ،

- يا تُري كم نجمة بالسماء ؟

- لماذا لم يتزوج القمر ؟

من أين أتت الغَيمات بِكُل هذا المطر ؟

وجَعلنا الإجابات بيننا تِباعاً، أبياتِ أُغنية علي لحنٍ ووتر، ثم إذا بسؤال لا أدري من أين أتي به !

أكان يُخبأه خَلف أنواره ؟

أم بعين عصفورٍ لم يستيقظ بعد !

سألني:-

- أأصبح حبيبُكِ كُل كيانكِ ؟ إن ذهب يوماً ستموتين ؟

- فأخبرتـهُ، أنـي أحبـه كثيـراً، عرفتُ صـدقَ الحُـب أكثـر وأنـا مَعـهُ، لكن ليس هـذا الحُب الـذي يجعلنـي هائمـةً علـي وجهـي، كأنـي ظِلـهُ، أسـيرُ خلفـه، أتبعـهُ، دون عقـل، دون تفكيـر !

لسـتُ طائعـة لـهُ دون فهـم، لـهُ شـخصيتهُ الجميلـة التـي أحبهـا، ولـي كيـانٌ مُميـز خـاصٌ بـي.

أتعلم ؟ .. أشعرُ وأنا بِجواره :

أنهُ ألوان طيف تَحتضنُ رسمي الباهت،

صدفة بحرٍ تُسمعني النغم،

جِذعاً أنبتُ مِنه أفرعي والثمر،

ولكن، باللّه أخبرني

ماذا عن قلب فتاة يحملُ السواقي والبذور؟

وموجاً يؤلف الألحان

إطمئن ،،

إن كان قبة مسجدٍ مزخرفٍ هو،

فأنا التكبيرة الأولي والتحيات

●●●

«فُتات الملامح»

توضأ وتعال يا حبيبي، أغمض عينيك، سَبح وضع مِسكاً علي قلبك، لدينا خبرٌ ملائكي إستقبالهُ، بِذرة في أحشائي نبتت، ضع كفك الأيمن وتلمس جنيناً، أقرأُهُ مِنك السلام، أقرأهُ مِنك الأبوة والحنان، أباً أنت له وأخاً، ودُميَتهُ التي يحتضن.

«أتري يا حبيبي، أصرت إحدي النجوم أن تستضيف المولود، نزلت مِن السماء، أهدتني إحدى ثِيابها النورانية، قبلتني وصعدت»

هكذا بدأ المشهد، كُنتُ صغيرة أنتظرُ لأكبر وأُصبح أُماً، لأتمتع بِما قالهُ كُل من بالكون، «الأطفال هُم أجملُ ما في الحياة»،أعلمُ أنها جُملة صادقة، وقد يكون من كَتبها أباً حنوناً أو أُماً جميلة، لكن أعتقد أن شيئاً ما حدث له ولم يُكمل الجُملة، أحدثت له نوبة قلبية من أطفالِه !

«قالوا أنهُم كائناتٍ جميلة، لكن لي سؤال بالله عليكم جاوبوني، لِمَ لَم تُخبرونا ؟ أنهم كائناتٍ جميلة غريبة، ليسوا فضائيون بحسب !

بل هُم أكثر إبهاراً من ذلك

قد يجعلوا عَقلك هذا يذهب، يَرقصُ كالمجانين، أو أن تقف مُنبهر، عيناك واسعة، فمك مفتوح، قد أُصبت بمرضٍ جديد بسبب ما يفعلونُه، ألا وهو « مُتلازمة المُفاجأة »

والآن بعدما أصبحتُ أُماً، سأُحاول أن أصفُ جُزءاً صغيراً جداً، مما يفعلهُ الأطفالُ فينا.

يا أبي، ستجدُ إختفاء ملحوظ للمفارش البيضاء، خَطفاً مُباشراً للأقلام والألوان، نادي عليها، إستغث وهَلل.

مفارش بيضاءٍ مَخطوفة، أما مِن رائي؟ أما مِن مُجيب؟

أين ذهبت التي تغطي الأسِرّة والمبيت؟

وإن جاءنا ضيوفٍ ووفود، فبأي سبب نُجيب !

وإن كُنت تُريدُ قولاً واحداً...فهات أُذنيك ها هنا،

ستجدُها مُخبئته مِنك، زادتها بُنيتك بنِقاطٍ بنفسجيةٍ مُزركشة، فقاعاتٍ بيضاء رقيقة، علي خلفية خفيفة الزُرقة، خُدود وسيمة وقلوب تُحاوطها، دندنة رقيقة حانية من النِقاط المتناثرة.

« إنها أنا بُنيتك بيكاسو الصغيرة في يوم ما قريب »،

«لا... لا وقت لديك للإنهيار، بُنيتك رائعة بالرسم، لا تقلق، لن تصرُخ وحَدك بالبيت، سأُشاركك أطراف الصريخ، سأصرخ معك الآن.

لكـن إليـك نصيحـة إن أردت، «أصـرخ بهـدوء .. وإلا عَـرف الجيـران أيـن ذهبـت مفارشُـهم البيضـاء هُـم أيضـا !»

«علـي قـدر التعـب والإرهـاق الـذي يُسـببوه لنـا، إلا أن إبتسـامتهم تزيـح عنـا الهمـوم والأحـزان، جُرعـات الحنـان منهـم يبـدأ مفعولهـا بمُجـرد الإحتضـان، رغـم كُل شـيء فهُـم فعـلاً أجمـلُ مـا في الحيـاة.

●●●

تكبيرةُ الممات ؛

كُل التكبيرات سَلمتُ إلا تكبيرةُ الممات

والبُكاء ها هُنا كالأطفال

فلا سقفٌ للبيتِ ولا هِندامُ

وأيُ براحٍ وحُضنكِ مُكفنٌ !

فلتعلمي؛ أني سأمكثُ ها هُنا علي قبركِ حتي تفيقي

فقرفصائي، رعشتي، فبواقي جَسدي،

وتِلك عروقي تيممت،

ألن تفيقي ؟

عايرني الأطفالُ أماهُ،

جوعانةُ تِلك التي بلا أمٍ، فتصدقوا عليها ببعض الأحضانِ

أمُرهقة أذناكِ لا تسمعيني ؟!

هاتيهُما، أُقبلُهما، فيُشفيانِ، فتفيقي

ومُنذُ متي وردُكِ عليا صَمتٌ وهدوء !

يا قبرُ، إني أعلمُ أنك طيبٌ

فَهذِه قبلة علي تُرابك

كُل ما في جيبي، قِطعة حلوي آخرُ ما في ريقي

وافتح لها الباب إني جائعة لم أُطعم مُنذ الصباح.

لايغُرنَك كبر حجمي فالقلبُ مولود من يومين لا يزيد

لا نفس فيا ولا زفير، إنما بعضُ المسامِ.

أخرجها فتِلك الصلاة عليها باطلة

أخذتُ أنفاسي معك، ومُنذُ متي تَجوزُ علي الأنفاس تكبيرة المماتِ !

●●●

« يا حبيبتي ، إني ها هُنا معكِ »

إبكي ها هي أحضاني

وإن أردتِ، أُفتتُ صخراً خبأ عنكِ وجه الحبيبة

ذهبت أُمكِ، وأنتِ حبيبتي وأُمي
أتذهبي حُزناً عني !

ما بالُكِ، نُرسلُ لها دعوة من قلبكِ الصغير،

ونضعُ صدقة تُضللُ عليها، أمازلتِ تبكي ؟

تمسكي بي حتي تطمئني، وناديني يا أُمي وسأُجيب

جميلُ وجهكِ كوجهِها وهو يبتسم،
قطعة أنتِ منها وقت الألم والضحكات

فأزيلي عنكي دموعاً، ليتوقف عنها البكاء
وتنفسي شهيقاً من الحياة كي تتنفس،

تعالي نُرسل لها قُبلة مِن حفيد، وكُل يومٍ سلاماً من أحبة.

صباحُ جميلُ منها، وصباحُ أجملُ عليها،

إنها أوصتني عليكِ،
«إصنع لها ثوباً مُلوناً، ترتديه يوم عيد،
وضع بين كفيها زهوراً لتتوضأ، إنها لي تكبيرة الحياة»

هل لكِ أن تَعذُري؟

لا أعرف كيف أُرتبُ الزهور؟

ولا كيف يجوب المُنادي أطراف المدينة قائلاً كَم أُحبك !

ولاأملك ملكة نُطق الكلمات وترتيب الجُمل مِثلكِ،

لكني أهوي ما تقولين.. وأهواكِ.

إسمحي لي أن أصف لكي الحياة وأنتِ مُتعبة،

الهواء يملأُهُ الصمت وآن أن أتكلم.

ليست مُظلمة الحياة ... فوجودكِ في بيتنا يكفي.

إنما ليس لها مذاق .. إنها عادية .. وقاسية كَلمة عادية معكِ.

لا شيء مِن دونكِ أتذوقهُ. وكُل ما أسمعهُ دون صوتكِ يُزعجني.

أعرفُ ما تمُرين بِه، فقد سبقتُكِ إليه من أعوامٍ قليلة، هكذا الحياة دائماً نفقد من نُحب.

سأروي لكِ قصة، لستِ وحدكِ من يُبدع في قَص الرِوايات، قد تعلمتُ منكِ القليل وسأُحاول.

«كان لـي أب مثـل أمُـك جميـل، قدمـي وسـاقي هـو، هـو كُل الأرقـام وكُل الأشـياء، فقدتـهُ ذات يـوم، ولـم أعلـم عـن الـزلازل شـيئاً، إلا حين وفاتهُ، وقتها إما أمُت من الألم وأنا حي،

أو يحي هو معي؟

هل كان يسعد إن رآني مُتعب مِن الحياة بِدونه ؟!

أو ضعيف هزيل مِن الحُزن ؟

أم يسعد وأنا أخطو قدمهُ مع قدمي علي نفس الطريق

كأنهُ مازال موجود، حَيُ يتنفس ؟

إني اخترتُ أن يراني وأراه، أبتسم ليكون هو نصفُ الإبتسامة الآخر.

إخترتُ أن أحيا، ليحي معي، وكانت هذه هي البداية.

ثم هل لكِ بعد هذه الرواية الجميلة،أن تُعطيني كتفي،

مُتبقي لي شراء حقيبة مدرسة مُلونة لطفلنا الصغير،

وسيسألني البائع أين كَتِفك !

ـ سأذهب،

ـ خُذني مَعك.

●●●

أيتُها الإبتسامة ؛

«نعم أنتِ، لا حبيبة ولا حبيب، ولا أي إنسان بالكون يُغنينا عنكِ:

كيف تكون الصباحات مِن دونك !

ومن يُطيب خاطر كُل تعب يومٍ غيركِ ؟

أتدرين ؟

أنتِ جميلةُ الجميلات بالوجهِ كُله، أحياناً تكوني أُماً لوجه طفلٍ لا يعرف غيركِ بالحياة، وأحياناً تكوني الأمل والبُشري

«إطمئنوا هُناك حياة جديدة، يُمكن أن تكون»

أنتِ كُل الأدوار، كُل الشخصيات، أنتِ وأنتِ فقط كُل الملامح الجميلة اُغتزلت فيكِ. يتحدثون عن الجمال! ألوان العيون، الأطوال والأوزان، وتبقين أنتِ في كل زمن ملِكة الجمال

مُتوجة أنتِ، مُتواضعة، لا تشترطين علي أي شِفاه تُرسمي !

لص !

أمير !

حتي الأحزان ...دائماً تقفين خَلفها، تدفعيها لتمُر سريعاً.

فقط أن يكون قلب من يبتسم صادقاً، لتجلسي أنتِ علي شِفاهه ولا تُفارقيه. «باللّهِ ، كيف كُنا سنعيشُ من دونكِ أخبريني !

بدون سبب؟

– «ما السبب ؟» سؤال كان يُراودني دائماً وأنا صغيرة،

لماذا تبتسمين هكذا طوال الوقت؟

لماذا يملأ الأمل قلبكِ وأنتِ عادية كباقي الناس ؟

كُنت أشعر أنه سؤال قاتل،

يُوضع حول العُنق ليقتل كُل جميل يقتربُ مِنا .

لـم تكُـن لـي قُـدرة علـي الإجابـة إلا اليـوم، وهـا هـي إجابتـي، أو بالأدق ... إجابةُ قلبي.

– ليس شرطاً لنحتفل، أن نصنع أكبر كعكة بالكون !

تبـدأ مـن جُـزر القمـر، وتنتهـي علـي الضفـة الأُخـرى مـن الكوكب، واللّه تكفينـا كعكـة صغيـرة، تـأكُل أنـت مِنهـا يـا حبيبـي قِطعـة، وكُل طفـل مـن الطفلـين قِطعـة، وأنـا آكل باقـي الكعكـة كُلهـا .

– ليس شرطاً لنسعَد،أن نملك غابة أو محمية طبيعية، فيها أصناف من الأشجار والألوان !

تكفينا زهرة ياسمين، ترويها أنت صباحاً وأرويها أنا بالمساء.

- ليس شرطاً أن تقف أنت علي كَوكب عُطارد، وأقف أنا علي كوكب الزُهرة، ونقطعُ المسافة بينهُما مَشياً علي النجوم، ليُصبح قلبي يفتقِدُك، أو ليُصبح بيننا إشتياق اللقِاء!

- ليس شرطاً أن نمتلك شاطئ عِملاق أو حتي صغير، لنسير سوياً أو نتمشى !

يكفينا قدمُك وقدمي، وأذهبُ معك أنا لأي مكان.

أشرطاً لتبتسم، لابُد من أن يكون لديك فمُ رقيقُ الملامح جداً ؟

يا هذا، يكفينا شِفاه وبعض الأسنان السليمة، وإن لم نجد !

لا بأس لتُظهر أسنانك الغير متناسقة هَذِه، واللّهِ جعلتها الإبتسامة لوحة فنية جميلة.

« أن تشعُر براحة تملأك رغم كُل الإزعاج الذي يُحاوطك، أن تسمع صوت هادئ بقلبك ليس له إلا شرطاً واحداً فقط ... أن يكون بِدون شرط ».

●●●

لنُغني ♫♪ ؛

رَغم كُل حُزنٍ يُؤرقنا
لـكفِك يحتضنُ كفي الخائِف

لعصفورٍ يحتفلُ بميلاد صغيرتهِ
ب سنابل خُضر يَصنعُ لها تاج.
وبحبٍ، بِفُتاتٍ من خُبزٍ طازج.

لك أنت يا مَوجاً.
مازلتَ تُقبلُ الوَجه والكَفين والقارِب.

لِجنودِ العالم تُعلن توبتها، تزرعُ الياسمين بالمدنِ.

لأغصان، علي لحنٍ من رعد تتبادلُ الرقصات

لطفلٍ بات يَرسمُ قمراً يُلونُه،

يستيقظ ليلاً ويُسافر مَعهُ، ليري النجمات.

لِكُلِ أنبياء الحُب

لتـرانيمٍ ، لـمزامـيرٍ لصلـواتٍ.

وجميعُ أطفال الحي، قد إجتمعت، يَعدون علي أناملِهم كم أُحبك؟

ولم تكفِ الأنامِل ولا جميعُ الأرقام

لجِلبابٍ مُطرزٍ ثائِرٍ،

لن يعترفُ أبداً لا بالأزياء ولا المُوضات،

مازالت أُمي في منامي تغزلهُ.

ل أملاً يَحملُ أحلامهُ، يجري هيا لنسبقهُ .

لآخر الطريق ونغني

من أجلِك أنت ومن أجلي

لنُغني ♫♪

●●●

أسراري الصغيرة ؛

أري أعيُنكم قد لمعت!

وشفاهِكُم قد تبسمت!

ما كُل هذا الفضول؟

حسناً سأُخبركُم، لي أسرار كباقي البشر؛

بدايةً ... لستُ أملك ذكاء أينشتاين، ولا عبقرية جاليليو، ولكن قلبي يعي أن فكرة صغيرة صادقة، كفيلة بأن تجعل مني أميرة، وأن سعي لها، قادراً أن يجعل العالم كُله يُهديني الورود والرياحين.

ثانياً ، تعلمتُ درساً في حياتي، أظنهُ الأهم علي الإطلاق،

حينما يدخُل الإنسان امتحان الحياة ليس مُهم بأي قلم يكتُب!

أهو من ألماسٍ أم قلمُ رُصاص؟

ولا علي أي مِنضدة يجلس؟

أهي مكسوة ب أزهي الألوان؟

أم خشبية باهتة !

أهم ما في إختبار الحياة هو إجابتُك أنت الصادقة.

- الآن ليس معي أموالاً ضخمة، ولكن في أكثر الوقت أتصدقُ عني بغير حاجة، أضعُ قِطع صغيرة من الحلوي في حقيبتي، حينما أجدُ طِفلاً أمُه تحملهُ وهو يبكي أُعطهِ واحدة، قطعة الحلوى الصغيرة هَذه، كفيلة أن تُطيب قلبهُ وتمحو دموعه، وقد يعيد مذاقُها الطيب إبتسامته الجميلة.

- لي فى الفجر أملاً واسعاً، أكذبُ إن أخبرتُكم أنه يومياً أستيقظُ علي أنفاسِه، لا .. ولكنهُ صديقي الحبيب، كان معي نصف عُمري الماض، أدعو الله أن يُكمل معي باقي عُمري القادم كُله، وتجيئني الوفاة وأنا بين أحضانِه؛ ها أنا قد أخبرتُكم بكُل شيء ماذا عنكُم أنتمُ ؟

ماذا تُخبئون بقلوبِكُم ؟

●●●

أنا و أنت

لسنا مطلع قصيدة، ولا مُبتدأ لجُملة حُب

إنما إتفاق تسير عليه حياتُنا القادمة،نُقسم بيننا مهام الحياة.

تِلك المهام اليومية العادية، لنكون مُنظمين وأكثر تفاهُماً،

- **أنا** أفعلُ هذا

- **وأنت** تفعلُ ذلك، لنبدأ .

- **أنـا** أنشـرُ الثيـاب ليـلاً لأري وجـه القمـر، مازالـت بينـي وبينـه الحكايـات لـم تنتـهِ بعـد ،،

- **أنت** ربُ البيت، الميزانية والمصروفات معك أنت وإلا !

لـن تجـد بالبيـت سِـوى كوبـين مـن الأُرز، وباقـي الطعـام فاكهـة، وربمـا سـيكون الغـذاء كتـابُ جديـد لأحـد المؤلفـين !

أو نُزهة وقت الغروب عِند البحر!

إن كانت الميزانية معي سيموت كُل من بالبيت جوعاً.

- **أنـا** أُنظـم البيـت وأُنظفـه، أفـرشُ غِطـاء الأسـرة المُلونـة والبيضـاء، أصنـعُ الخبـز بالبيـت، كخُبـز أمـي وجَدتـي، أسـتيقظُ صباحـاً أُحضـر الفطـور، وأطهـو كُل يومـ لنـأكل كُلنـا معـاً،،

- **أنت** تُغلقُ أزرار الأكمام، تُرتب الثياب في أماكنِها، تجلس مع الأولاد تُشاهد أفلام الرُعب الشريرة هذه وتتسلق معهُم الألعاب العالية، تحملُ عني الأكواب الزُجاجية وإلا لن تجد يا حبيبي كوباً سليماً تشربُ فيه،

- **أنت** تُذاكر للأولاد كُل الأرقام، وكُل المُعادلات الرياضية.

- **أنا** أُحضرُ لَكُم العصائر الطازجة،

إخفض لي أذُنك يا حبيبي لأُخبرك سراً، إني أكررُ الأرقام وأنا نائمة، ليلاً ستجدُني نائمة كالملاك ولكني سأظل أعدُ الأرقام وأجمعُها حتي أستيقظ، «خمسة وثلاثون، سبعة وخمسون، تسعِ تفاحاتٍ ونِصف»

حقاً واللّهِ لا أكذب عليك، إما أن تُذاكر أنت لهم الأرقام، أو لن تَهنأ بلحظة نوم هادئة بجواري، فإختر أنت ما شئت.

- **أنا** سأُساعدُك في المُذاكرة لَهُم، إعطني مادة الأحياء أو العلوم هذه، سأذهب الآن لأبدأ مَعهُم.

لِمَ تنظر لي هكذا ؟!

واللّهِ الأولاد هُم من سألوني

قالوا :- كيف يعملُ القلب يا أمي؟

قُلت : يعمل القلب حينما يدُق بقوة أبواب الآمال والأحلام.

قالوا :- متي تُصبح العيون سليمة، قوية النظر؟

قلت :- حينما تنظُر لشيء فتجدهُ جميلاً، فقط لأنه من صُنع الله.

لماذا تستمر بالنظر لي مُتعجباً هكذا؟

أينقصُ هذه الإجابات شيء؟

أرسب الأولاد !

يا حبيبي؛

الحياة ليست فقط علي كَتفك، وليست كُلها علي رأسي، خلق الله لنا يدين ولو كانت واحدة تكفي لَما خلق لنا الأخرى.

خلق يدي لتحملُ يدك إن تعبتَ يوماً، وخلق قلبك ليحمل قلبي إن يأس يوماً. قلبٌ وعقلٌ أنا و أنت.

●●●

من يحكُم ؟

«أنـا أحكُـم، ليـس أمـراً صعبـاً، سـأُخبركِ الآن مـن بالجنـة يُجـاور الملائِكـة، ومـن بالنـار يُحـرق مـع الشـياطين.

هَـؤلاء هُـم أهـل الجنـة، مقبـولٌ عَملهـم، نواياهـم، كَلماتهـم، حتـي تلـك الهمسـة التـي يهمسـونها سِـراً، هـذا الرَجُـل بالطبـعِ مِنهُـم، ألا تَريـن التسـبيح يطـوف حَولـه ؟

يسـيرُ هـا هـو كقُبـة مسـجد، إنـه الوحيـد الـذي تبقـي مِـن الصالحـين، والأُخـرى هـا هـي تجلـس بمعبدهـا ليـل نهـار، ألا تسـمعين الترانيـم والترتيـل ؟

«هؤلاء هُم بِكل ثقة من يدخلون الجنة»

«أمـا هـؤلاء، هُـم أهُـل النـار، هـا هـي تتمايـل مـن كَثـرة الخمـور، ها هو يفعل الفواحش»، ألا تريين !!

إني أري جيداً يا سيدي، هل إنتهيت من حَديثك ورأيك؟

أتدري ؟

أمـس رأيـتُ شـخصاً غريبـاً مـن الماريـن، يرتـدي زيـاً أقـربُ للنِسـاء، يصنـعُ بشـعر رأسـه رسُـومات غريبـة محفـورة، لا، ليـس مـن المعتوهـين يـا سـيدي

يضعُ في يداه أساور فتاة ليتزينُ بها، علي قدر كُل نَظرة مِمن حوله يتعجبون، يحتقرون، وبالطبع قد أدخلوه النار من أول نظرة لهُ،

- يا تُري لو كُنت في مِثل وضعه، تعرضتَ لما حدَث له» أكُنت ستفعل الفواحش فقط ؟ إن كان يفعلها حقاً كما ظَننتمُ بِه !

أم أنها كَلِمة رقيقة بِجوار ما كُنا سنفعلهُ !

- أتفقُ معك، قد تكون كُل الترانيم والتكبيرات التي نطقوها، أصدقُ عِبادة مرت علي بشرٍ في هذا الزمان.

«وقد تكون الكَذبة الكبيرة الوحيدة التي يفعلونها نِفاقاً»

ولكن ما أدراك أنت بقلب من يفعل معصية ؟ أو لا يفعل شيئاً سِواها؟

لن أسألك من أين أتيت بهذِه الدرجات التي وضعتها لَهُم!

لتقيم أعمالهم، حتي الخُطوة التي يَخطونها ! لكن جاوبني، أشققت الصدِور واطلعت علي القلوب ؟

فها أنت يا سيدي تَعلمُ الصادق والكاذب والمُنافق ؟

لا، ولم تكتفِ، أدخلتُهم الجنة، وأدخلتُهم النار!

حقاً أُريد أن أرفع لك القُبعة، قبل أن يرفعَها الشيطانُ لك، قد يخرجُ هذا من مَلهي ليلي، أو ها هو ساجدٌ يُصلي !

ها هي ترقُص، تتمايل أو أكثر وأكثر، أم بين يدي الرحمن تتعبد !

ها هو يُخفي صَدقتهُ، يسيرُ علي هدوء لكي لا يراها أحد غير اللّٰه !

أو، يسرق، يقتل !

«قد تكون بقلب هذا الرَجُل، كُل السيئات التي لم تَجتمع بأحدٍ من قبل، وفي نفس القلب، دقة نورانية من أثر الملائِكة، فضلاً لا تُطفها بِحُكمك عليه، ما أدراك أنت لعل اللّٰه يقبَله !

ما أدراك أنت لعل اللّٰه يُحبه أكثر مِنك !

أما زلت تُصر أن تحكُم؟

لا أنت ولا أنا ولا حتي أن يجتمع كُل الكون!

يا سيدي، دون أشكال الوجوه، دون كُل التصنيفات!

فقط علي قدر أفعال القلوب والنوايا، وحدَهُ اللّٰه يَحكُم.

●●●

لسنا آلهه ؛

يا حبيبي، يامن فوضتُه ليكون لي أباً رغم كُل المواثيق.

أحتاجك كأبٍ حكيم وبنيتهِ الحبيبة، لدينا موضوع مُهم، يَهمُنا أن نستقر عليه ونتفق، كُل من سمِع عنهُ، يَعرفونه ب «خيانة لا تُغتفر»، وأُعرفهُ أنا ب « ذنب تمحوه الطيبات « .

فأخبرني إن كُنت علي صوابٍ أو خطأ؟

«ربما سيكون لحبيبي يوماً من إمرأة غريبةٍ ما اشتهي، حديثاً في الخفاء، سلاماً كثيفا، أو شيئاً آخر يفعلُه...،

لرُبما ...

أضعُ يدي بيد رَجُلاً آخر غيره، وتذل قدماي.

ما العمل وما التصرُف؟ البيت كُله علي قدمٍ وساق، أنه لم يخونني، لكنه خان عهداً وموثقاً .

لم يمسني بسوء، فمازال قلبي بخير.

أمولاتُه أنا يخافني؟

يترقبُ ماذا سأفعل، وكأني إلهه الذي يعبُد!

أو تعلم إن رأيتهُ يفعل؟

سأُعامله ككفيفة عاشت عقوداً لم تري، أغمرهُ بفائض حب، فهذا كفيلُ به.

وإن زاد أكثر وأكثر ولم أتحمل، سأحملُ حقائبي بهدوء، وأجعلُ دعوة له بالشِفاء تُغلق الباب خلفي، أما أنا فلم أخنهُ، لكني خُنتُ عهد العفاف، ذُقت مشاعر سيئة، أشعُر كأني تذوقتُ طعاماً فاسداً، وبالقُبح تَلطخ وجهي وجَسدي.

«له أن يَهجُرني، ليتهُ يحنو عليا، يُنظف معي سوء وجهي، يتصدقُ عليا سِتراً، فأنا مُتعبة من الذنب، وأسيرُ إلي مغفرةٍ، ليتهُ يَحملُني وللرحمن يُسرع، فربُ ذنبٍ أتوبُ منِه، يجعلُ من دميمةٍ الوجهِ نوراً» .

«لي ولهُ إلهُ، نَضُع الأفعال والقلب بين يديه».

«دُلني هل هذا صواب ؟»

●●●

كَذب ؛

دون مقدمات ولا براعة استهلال، كثيراً ما ينهال علينا قلبنُا دون استئذان، يضعُ عنا الأقلام والترتيبات، يُريد أن يفيض بكلمات تمكثُ بين الحلق والفم، يدفعها القلبُ دفعاً لتخرُج، وبالمقابل، يُخبؤها ترتيب الكتابة وتسلسُل الموضوعات، ولأن القلب هو الأقوى، فها هو ينتصر ويُخرجها، يسأل سؤالاً مباشرا دون تَخطيط.

ـ ما الكذب ؟

وليس لك شيئاً أمام هذه الطبيعة الطيبة إلا أن تُجيب، تُجيب عن رضا منك، وإن لم يكن للسؤال مكان بين القصة التي تُكتب !

أو النثرِ الذي يُوزن قافيتهُ وتشكيلُه.

بل وتجعل السؤال والإجابة ضمن موضوعاتك!

لربُما السياق نفسه!

وها هي الإجابة، كلٌ كذب،الحزن والفقر، كُل ما فقدنا وكل ما نمتلك، الياقوت والذهب والأموال،جميعهم كذب «عدا تِلك المشاعر والأفعال الراقية، التي تجعلُك في الفضاء بين الكواكب، ترتدي في قدميك أمواج طموحٍ عالية، وبين يديك مدارات

الأحلامـ تسبح فيها، كأنك لست من هُنا، ولا تعرف شيئا سوي الطيبات، تترُك الظلام لأصحابه، وتصنع نوراً في كل لحظة تعيشُ فيها!

كُلٌ كذِب:

عدا أن تبيت في يوم حزيناً بين دعوات شخص يحبك، يدعو لك، يدعو ويدعو، حتي تجد الملائكة من كُل باب يحملون عنك آلامك، يزرعون بقلبك أزهار وورود لتُقيم فيها.

كُلٌ كذب، عدا أن تفقد كُل شيء، فتنظر للسماء فتجد القمر مازال هُناك ومازالت أنت هنا حيا، فيكفيك وجوده لتبدأ ثانية وثالثًا وعاشرًا ...» «فقط يكفيك».

كُلٌ كذب عدا أن تنظر لي وأنا من عبدة البقر، أو لا إله لي، ثم تصافحني بحُب، تُقرها بقلبِك، «كُل وإلهُ الذي يعبُد».

أتدري!

«بعد عِدة أعوام ليست بالكثيرة، سيُصبح الشيب ملء الرأس، الأيادي ترتعش من ثِقل الأعمال التي قامت بها، والقدم لا تتحملُ من الخطوات إلا بعضها، ننظُر خلفنا ونحنُ بالستين أو السبعين عاما، فنجد أعمارنا التي رحلت، نرانا ونحن نجري، نتسابق، نُعرقل بعضنا بعضا، لنجمع الأموال ونُشيد القصور، ونمتلك الأشياء ثم نكتشف إن كل الأشياء التي حاربنا لها، كمتاهة بنهايتها

سدٌ مُحكمٌ وظلام، حينما نصلُ لنهايتها تلطِمنا الأشياء علي رأسنا «أيها المخدوعين»... وتذهب.

ثم نذهب نحنُ للمثوى الأخير، نقولها والدموع مِلء القلب قبل العين «كُلٌ كَذِب» ليس هُناك ضوء قمر يُباع، ولا أحضان وضحكات تُشتري .

سأُعطيك ألواناً من ذهب، وآخذ عيناك التي تري!

سُحقا لتابوت ياقوت يَحملُني، يمنعُ حبات مطرٍ تُغازلني!

أستشري الأموال والأشياء لك مرحا !

يا صديقي مِن متي؟

أخبرني؟

زيني بألف ألماسةٍ علي عنقي، أُيضئ قلبي!

تِلك المناصب لك والخدمُ، هيا ضع طفلي الرضيع علي كتفي!

أُذن صماء مُزخرفة بالجواهر، أم صوت بائع الحلوي ينادي!

يا بائع العطر إسكُن جواري إني مللتُ من قصور فارغة وجواري.

●●●

فراق ؛

واللّهِ ليس الفراق بالأمر المُحزن، سأروي لكُم رِواية طيبة، تُطيبُ خاطِركُم تمحو عنكُم أي ألمٍ عن الفِراق

أتدرون؟

قد تكون في سفينة وها أنت يبدو عليك بعض الإطمئنان، لكن هُناك شيئاً ما بِقلبك يُخبرك أنك بالمكان الخطأ، ثم إذا بالأمواج تعلو، ها هو البحر غَضبان، كُل السحاب إمتلأت حُزناً، لم يجد مكاناً في الكون كُلَه يبكي لهُ غيرَك أنت!

ها أنت في قِمة الإرهاق والتعب، تتحطمُ السفينة، تشعر كأنك توفيت قليلاً، حتي تفيق وقد رَست بِك علي شاطئ طيبٍ وأهل بلدةٍ جَديدة، هُم فقط من نُحبهم، هُم حقاً من تمنينا أن نعيش بجِوارهم

هناك فراقُ لصديق وهُناك فراقُ لحبيب، «يا من كُنت صديقي يوماً، مازلتُ أُحبك، رغم كُل ما حدث، إني محوتُ من قلبي كُل السوء، كُل إرهاق المشاعر الذي أعيانا، دائماً سأتذكرُ لحظاتٍ كُنت فيها صديقاً مُخلصاً، حتي ولو كانت لحظة واحدة حتي ولو كانت لحظة كاذبة ! »

«لـك يـا صديقـي أن تُسـامحني، ولـك أن تمـلأ قلبـك بـكُل الذكريـات السـيئة، أنـا لـن ألومـك أبـداً، فمشـاهِد الشـيطان التـي يَكتُبهـا ليُزيـد الحقـد والكُـره لـم تنتـهِ بعـد، ولـن تنتهـي أبـداً !

أما أنا، معذرةً، استأجر الحُب جميع أركان قلبي وتملكها،

وزرعـتُ فيـه نبتـة للعفـو، أجلـسُ تحـت ظِلهـا الطيـب، معـذرة واللّه ، ليـس هنـاك مكانـاً فارغـاً لأسـتقبلُ فيـه كُرهـاً أو حقـداً،

أمـا أنـت يـا مـن كُنـت حبيبـي يومـاً، فهـذا هـو حـال بيـوتٍ كثيـرة تعرضـت لهـذا الموقـف.

ـ أبيكُم هذا قطعة نار أحرق سنوات عمري ، ثم تركني غَدراً،

ـ أتعلمون حقيقة الأمر؟

هذه السيدة التي أنجبتكُم، كانت أسوأ إمرأة علي وجه الأرض

«هـا هـو الشـيطان قـد أعجبـهُ المشـهد، وقـف يُحيكـم علـي هـذا الأداء المُبهـر!

«لا أنا لستُ مِنكُم، أنت أبيهم، رغم كُل شيء!

أنت بَطلهُم، سأظلُ أحكي عنك كُل طيب فعلتهُ، أو لم تستطع فِعلهُ!

مشهدُ حقيقي أو مِن الخيال!

«سأدعو الله لك بيتاً جديداً، حبيبة تعش معها باقي عمرك، لمَ لا ؟

ويرزُقني الله بيتاً أجمل، لن تنتهي أرزاق الله أبداً.

«أما أنت لك أن تختار، أن تُصبح مِثلهُم، أو تُبهر الشيطان أكثر»!

وإما أن تكون أرحمُ مني وأكرم، تُرسل لي احتراماً وذكرياتٍ طيبة، وإن كان كلُ مِنا في بيتٍ آخر أو حتي علي ضفافِ بلدٍ آخر.

●●●

كيف حال قلبك وهو وحيد ؟

ها أنت تري الكون حولك، مستريحاً مُستكيناً، وتري أعباءك قد رحلت عنك، وكل ما تمنيته ها هُنا وأكثر، بتفاصيله وجمال هيئته، وحيداً تجلس لتتمتع بهذه الأنهار، وصوت الموج الذي يُغني، تسيرُ تتفقد الأزهار والورود، ولوحات فنيه ملائكية قد رسمتها الأرض لك، لكن هُناك شيئاً ما تفقده، شيئاً ما يجعل كل ما حولك جميل، وتُضيف للوصف «لكن»، ليس لأن مزاجك سيء أو شهيتك مريضة تعاني، لكن لأن روحك لم تجد من يحفظُ معك لحن هذه الأمواج، ولا أنفاساً تشعرُ بها حينما استنشقت عطر الزهور، ولا عيناً تختارُ معك أي الألوان أجمل.

«حولك كل شيء لكنك وحيد، لا مياه النهر تجد شفاهاً تمتد لها يدك لتُسقيها، ولا تفاصيل أُفراحك وأحزانك يُقاسمها أحدًا معك، سواك أنت.

أتدري؟

وحدتك هي الآلام التي لابد أن تكتُب عنها الروايات، وتُزرع لها الأرض بالونس، ليُصبح دواءك بكل مكان، ويأخذها من يُريد كُل الأشياء، ويترك الونيس والحبيب والصديق، لعله يوماً يشُعر بأن وحدته ستكون موته، وأن وفاته لن تكون جميلة، إلا حينما يُشاركه أحداً يُشبه روحه، بالأدق، يُشاركه الاشتياق علي نفسه التي ذهبت.

ملائكة ؛

«قلبي الحبيب، تعال أضعُ عنكَ دقاتِك المُتزايدة هذه، إجلس، إهدأ واسترح، أخبرني ؟ لِماذا تبكي بِكثرة هكذا يا حبيب؟»

– «لم تتحقق أُمنيتي بأن أكون من الملائِكة»

«ألِهذا تبكي؟ سأُخبرُك شيئاً صادقاً يُريحك، أتعرف، كما في حياتنا حسنات وطيبات، فيها أيضاً سيئات وذنوب، فيها نيات وأفعال ليست جيدة، مَن بالبشر في كُل هذ الكون لا يفعل شيئاً سيئاً؟

مَن فينا مُتيم بالملائكية طوال الوقت؟

الأزهار والرياحين في قلبِه دائماً مُثمرة!

لا أحد منا، لا أحد، ليست هُناك أي مُتعة أن نكون ملائكة!

نعلم كُل الخير ونفعلهُ هكذا، بين غمضةِ عين وغمضةٍ تَعقُبها!

المُتعة هي أن تجد نفسك أمام خطأ صغير، أو كبير، تتجردُ مِن كل شيء، تنظُر لدقاتِك، وتسألها :–

أنفعلُ هذا الشيء السيء؟

أنفعلُه ؟

«ها أنت أيها القلب، تري شيئاً جميلاً، أنت في أمس الإحتياج إليه، لكنُه ملكُ لأحد غيرك، إنه هُناك، هيا خُذهُ، أسرع، خُذهُ وإرحل من هُنا

لا أحد يراك، لا أحد.

قِف يا قلبي وكُل ما فيك ينبُض، قِف وتأرجح بين نعمٍ ولا كما يحلو لك، إنه الإختبار!

«إما أن تأخُذ هذا الشيء، فتُصبح وتُمسي بضيقٍ قد مَلأ صَدرك، كأن أحزان العالم أجمع جاءت لتُقيم عِندك مأتماً وعزاء، و بأقفال أغلقت أبواب سوداء عليك، لا مفر يا قلبي ولا مخرج. «وإما أن تلمسهُ إحدى دقاتك، فتحزن علي فِطرتِها، تحزن علي الصفاء الذي تلوث، فتُطلق سراح هذا الشيء وتعود به لأصحابه. «ها هي ملامحكُم، ها هي مشاعركُم، لا، ليس لي مِنها بشيء» «والله سأجدُ سفينةً من الأماني تحملُني، وشاطئ من الأزهار يُغطيني،

عِوضاً عن كل شيء».

إما يا قلبي أن تفعلها من البداية، وتقولها،

«لا» ، «لا» وأنت بِكل ما فيك تهتز، لست ملكي، لست طيباً لي، لن آخُذك، وإن كُنت أنفاسي، وعيني التي سأري بها الدُنيا، وإن كنت كُل مَحياي.

«إذهب، إذهب من هُنا».

«أيها القلب، أعرف أنك تجلسُ هادئ تُفكر، أعلمُ عن الحيرة بين دقاتك، إختبار صعب ولكنك تستطيع، تسطيع رغم كل شيء، لتعرف يا صغيري، إن ذلك الألم قريباً سيزول،

وكأن شيئاً لم يَكُن، وأن المشاعر التي ملأتك، هي أجملُ من كل الأشياء التي لم تكُن ملِكٌ لك وتركتها،

«كسحابة ملِكُ لغيرك تُسقط حبات مطر، تتركها لهُ وأنت ظمآن، حتي يَرزقُك الله بئر مياهٍ صافياً، وسبع سماواتٍ تُمطر عليك، لك أنت، لك أنت وحدك» .

●●●

«من أنت ؟»

سؤال فلسفي، هكذا يراه كثير من البشر، لكن أري أنه سؤال إنساني بِكُل المقاييس،إن أردت أن تُخبرُنا من أنت ،

لا تُخبرنا عن ما تملِك!

ولا عن خَدمك الذين يصنعون لك ثوباً مغزولاً من الفخامة لترتديه!

ولا عن أبيات غَزلك أيُها الشاعر!

ولا عن ملامحكِ الجذابة أيتُها الفاتنة!

فضلاً، لا تُخبرنا عن الحروب التي خُضتها أيُها الملك!

أخبرنا عن قلبك؟

عن عملك؟

عن ما حاولت فِعلهُ يوماً للإنسانية!

- «الإنسانية !!!»

كُنت أهاب هذِه الكلمة، إنها ثقليه، كبيرة، عميقة، لا يا سيدي علي ضخامتها هي أبسط ما يكون.

«قـد تكـون أبـاً بسـيطاً في أي زمـن كان، خَمسـمائة سـنه قبـل الميـلاد، في بلـدة صَغيـرة لـم تطـأ مظاهـر الحضـارة حُدودِهـا»

أو أب الآن لطفل عُمرهُ سنوات.

تحملُ بيتك وزوجتك وأولادك بين أحضانك، تَحنُ علي هذا وتُحب هذه، تُعطي لهم مشاعر صادقة، علي قدر ما تملك، تُعطي رحمة وحنان وقوة... تُعطي وتُعطي، لا تنتظر منهُم شيئا أبداً، فقط تُحب أن تري السعادة تملكَت وجوهم، وقد أمرها الله «كوني بقلوبِهم، هوني عليهم، لا تُفارقيهم حتي أراكم بالجنة معا».

«وقد تكون مُزراعاً أمياً لا تقرأ، لاتكتب، حقاً جميلة هذه الفأس التي تحمِلُها، والبِذور التي تنتظر أن ترويها، تجلس بحقلِك، ترزع نبتة تُلقِحُها بأُخري، تُجربُ وتُجرب، حتي يجيئك العُلماء من كُل مكان، يسألونك :-

«كيف أنبتت هذه إنها لم تُثمر معنا من قبل؟ هل تسمح لنا أن نتعلم منك؟

«قد تكوني ولدتي لأب وأم وعائلة غنية، غنية لأبعد حد، فاتنة الملامح أنتِ، كأن الجمال لم يَجد مكاناً يسكنهُ بالكون إلا وجهكِ!

وها أنتِ تعملين عملاً إنسانياً لستِ بحاجة له!

تجدين مأوي لأحدهِم، وها أنتِ تضعين فيه الزهور لِتُجميله، أو تجلسي مع آخر، لتسمعي منِه ما يؤرقه، تُحاولي أن تكوني سبباً في تحقيق حلماً له عما قريب، أتدري، لو كان الجمال إنسان ينطق؟

لقَبّل هذه الأنامل التي ساعدت، والأذن التي أنصتت إعجاباً وتقديراً، وحينما تبيتي سيظل يَرسم ملامح قلبكِ، ثُم يُوقع عليها بإمضائه النوراني، «هذا هو الجمال الحقيقي».

«إن كُنت تفعل أي شيء مما فات، علي إختلاف ظروف حياتك، يُصبح سؤال من أنت»؟

كُلنا نستطيع الإجابة عليه، كذباً أو صِدقاً، إن كنت حقاً تفعلُه بصدق فقد أخبرت الكَون كُله من أنت؟

دون أن تتفوه بِكلمة واحدة،هنيئاً لك،

قد وجدت نفسك ، وجدت إنسانيتك.

●●●

لماذا ؟

- نُحب؟ نكرَه ؟ نتزوج ونُنجب، حتي وأننا ننزعج ؟

- لأنها سُن الحياة وقوانين الكون،

هذه هي الإجابة النموذجية التي نُرددها، دون أن نُفكر إن كانت صواب أم خطأ، أم ينقُصها بعض التوضيح!

قلبي يُخبرني أن هُناك سبباً أقوي، نحنُ لا نتزوج لأن كل الناس تتزوج، لا نُحب فقط لأن بعض البشر يُحب!

ألم تسأل يوماً لماذا تُقبل يد والدتك؟

ماذا ستستفيد إن أخبرت أحدُهم أنك تُحبه ؟ بل وتُحبه جداً؟

تُريد أن تُشاركه لحظاتِه المُزعجة قبل الهادئة!

ماذا ستستفيد إن نظرت لوجه أبيك، وتأملت ملامحة وإحتضنته؟

ها هو طِفلُك، تلعبُ معه، قد أعجبتهُ حركاتك البهلوانية، ها أنت تُكررها وتُكررها ليضحك أكثر، ها هُم شُعراء العامية والفُصحي، جاءوا جميعاً، يُحاولون وصف ما تشعر به، وها هي إجابتك، «معذرةً، لم تكفيني الأبيات من أعظم شاعر بقديم الزمان، لأعظم روائي في زمننا هذا»

هـا هـو الشـر أمامـك، هـا هـو الخيـر يقـف بِجـواره، هـا هـو شـخص آذاك، كاد أن يقتُلـك، وهـا أنـت تُسـامحه وتتصـدق عليـه بدعـوة، «اللهـم عافـهِ، اللهـم أحسـن إليـه وارزُقـه»، أعفـوت عنـهُ لمجـرد أن تعفـو عنـهُ؟

أم أن بعـد عفـوك هـدأ قلبـك واطمئـن، وتبيـت أنـت الآن تسـعد بأنـوار الرحمـن وهـي تُحاوطـك!

فعلتُها لماذا؟

لأي سبب مِنهما؟

«هـا هـي النُسـك والعبـادات، مسـيحيُ، أم مُسـلم أنـت، أو علـي ديـن آخـر لا نعرفُـه، حينمـا تتوضـأ ثـم تذهـب لتُصلـي، أو تُسـرع لأن مراسـم عِبادتـك قـد بـدأت.

«تفعل كُل هذا فقط لتؤدي العبادة !!»

أم لأن هناك راحة ما بعد العبادة تملؤك؟

ملائِكة تُجاورك فها أنت مُطمئن؟!

«وهكـذا كل الأفعـال، حتـي السـيئ منهـا، لا نفعلـهُ هكـذا دون سـبب، عقلـك وقلبـك يختـار مـا يفعـل، ليتمتـع بالمشـاعر، نـورًا كان أم حِقـدا وظـلام!

«كُلٌ عِنـده إجابـة لمـاذا؟ .....أنـت، وأنـت فقـط مـن يختـار الأفعـال، لـك أن تختـار أن تُشـبع السـوء بقلبـك!

ولـك أن ترسُـم اللوحـة و تُضيـف الألـوان، ثـم تجلـس بـين جمالِهـا لتتأمـل، لا تعنيـك تلـك الدهشـة علـي وجـه رسـامٍ عبقـري!

«ولا يهمُك صمت فيلسوف حكيم في رِحاب لوحتك»!

فقط إن تَملكتك المشاعر الصادقة.

●●●

لن أضربُك .. سأضرِبُ لك ؛

أعرف ما يدور بأذهانكُم الآن

- «لن تستطيع»

- «حتما ستضرب أطفالها يومًا»

- تفكيرها «بأنها لن تضربهم»، ما هو إلا حلم كالسراب

- «فُكاهة سخيفة، ترويها فتاة في بداية أمومتها الحالمة»!

ولكن !

أعطوني أيديكم لأؤلمها !

ومشاعركم لأوبخها ! ثم اخبروني الآن، ماذا تشعرون!

«إنه الإجبار في أسوأ ملامحه ! إنه الخوف من شخص ضخم سيؤلمني!

يدعي أنه يُهذبني!

طفلة صغيرة أنا لا أتحمل، سأفعل ما يأمرني به وأصمت؛

«هذا ما يفعله الضرب،لا يُهذب سُلوكًا»

لا يُخرج طفلاً صادقاً ضميره هو الذي يُحركه!

فقط هُناك ألمٌ ما يتراكم، ثم ينفجر، لا شيء سوي ذلك.

ليكُن ما يكن، ما هو أبشع شيء يُمكن أن يفعلهُ طِفلُ صغير؟

يستحق عليه الضرب أو التوبيخ!

أيُطلق قنبلة كيميائية تشوه الأرض ومن عليها!

أم يُعطي أمراً عسكرياً بغزو الكواكب المُجاورة، وقتل جميع سُكانها!

لا .. لن يفعل!

لن يفعل شَيئًا سوي بعض الأخطاء التي لم نُعلمه صَحيحها!

واللّه لن يفعل شيئاً أكثر من هذا!

وإن كنتم تتحدثون عن الأخلاق!

تلك أفعال تأتي من ضميره! تأتي حينما يراك أنت أبيه تفعل شيئا خلوقا، تأتي حينما يراك أنتِ أمه تفعلي الطيبات،

أخبروني: أتلك العصا مُعلمة حنونه؟

درست الصدق والأمانة من قبل، وها هي تُعلمها لأطفالنا !

تعالوا نقطعُ عهداً علي أنفُسنا،

رغـم كل شـيء، رغـم كل الأخطـاء التـي سـتحدث منهـم، لـن نضربهـم يومـاً، لـن نُوبخهـم مهمـا حـدث، نحـن هنـا لنُعلمهـم ونتعلـم مِنهُـم، نضـرِبُ لهـم أمثـالاً ومواقـف وأفعـال، نتفـنَنُ في الحكايـات والأفعـال الطيبـة.

لنثـق في تلـك الفِطـرة النقيـة، التـي خلقهُـم اللّه عليهـا تِلـك الفِطـرة التـي تتعلـمُ بالحنـان والعقـل والإقنـاع.

تعالوا نُهذبهم بحب، ولا نترك لهم زِمام الأمر فَينفلت .

«يـا طفلـي الحبيـب، سـأُريك كيـف الأخـلاق والطمـوح بــ أحـن الطرق، لتُصبـح حينمـا تكبُـر إبنـاً بـاراً وأبـاً عظيمـاً.»

●●●

الفيل أم النحلة ؟

يا كلُ الآباء والأمهات، لدي سؤالُ مُحير لا أعرف إجابته،

هل تساعدوني؟

« أيهما أسرع وأذكي ؟ »

الفيل أم النحلة!

أُيهما ألطفُ وأكثر وداً؟

أيُهما أجملُ وأوسم؟

هل تُخبروني؟

ما كل هذا الصمت؟ ما كل هذا التعجب بأعيُنكم!

أتِلك إجابة صعبة!

إن كان هذا ما تشعرون به، فكيف حال ابني وإبنُك حينما نُقارنهم بعضهم البعض؟

أيتعجبون فقط بما نفعله بهم؟

أم أن هناك ألم ووجع يبيت في قلوبهم دون أن ندري!

جعلناهُـم يحفظـون الأرقـام غصبـاً عنهـم، يُرتبـوا المُعـادلات لُترضينـا ونُحقـق فيهـم مـا فشـلنا نُحـن فيـه!

نضعهم في قوالب قاتمة، فقط لنُرضي غرورنا وتكبرنا!

لنسرق نظرة إجلالٍ و إحترام من مُجتمعٍ بائس!

من خلف قِناع الوالدين نأمرهم، «أنت لابد أن تصبح كهذا الرَجُل» «وأنتِ إن لم تسيري علي خطواتي، لن تَهنئي بأمومتي أبدًا»، من أين أتينا بكل هذه القسوة!

نُعلق علي صدرهم الشارات والأوسمة التي تُعجبنا!

وقلب الطفل يصرخ، «أتركوني، أُريد أن أرسم حياتي أنا، لا حياة منسوخة من غيري»!

«لستُ ذلك رجُل الأعمال والحسابات، لكني سباح بيتهُ أعماق المحيطات»

« روائيٌ أنا ومُخرج »

«اتركوني لستُ هذه الطبيبة الجراحة، إني رائدة فضاء ومصممة أثاث»، ما المشكلة؟

صراخٍ مكتوم،لا أحد منا ينظر إليه،

أليس كُلٌ وله هِباته ومواهبه!

كُلٌ له مهارتِه وطُرقه!

كُل له مذاقهُ الشهي!

« أي عدوان هذا ؟

أنجبناهم ليُشبهوا بعضهم بعضاً!

نفس التفكير، والقياسات!

عُذرا والله ولكن، إن اصبح العالم كله مُتشابهاً، فما هذا القبح!

«لنمحو هذا السؤال السيء، تعالوا نُبدل المعادلة لأصلها الطيب، الفيل والنحلة»

●●●

الخباز وصانعة الأحذية .

- طفلي الحبيب وطفلتي الحبيبة، لتكونوا كما تُريدون، لتكُن خبازاً أو مُهرجاً، لتكوني بائعة عطرٍ أو صانعة أحذية، كيفما تجدون حياتكم إذهبوا، ليس بالحياة شيئا يساوي أن تكونِ كما تُحبي، أن تَفعلي شيئاً يجعلُ إبتسامتُكِ علي وجهكِ وقلبكِ، طوال حياتكِ وبعد الوفاة، ليس هُناك شيئاً يُضاهي البريق الذي يخرجُ من عينيكِ، وأنتِ تصنعي أول حذاء من صنع يدكِ.

أو تصنعُ أنت أول قطعة خُبزٍ مُحلاة!

تضعها علي أطراف شِفاهك، مُغمض العينين، لتتأكد من نكهتها المُميزة، لاشيء.

- طفلتي، إطمئني سنُحضر أنا وأبيكِ كُل الأحذية التي ستُجربين فيها، ونضعُ إحتياطياً لنا حذاء في مكان مُخبأ، غير الذي تكتشفيه أنتِ كل يوم.

- أما عنك أنت أيها الخبازُ العظيم، ها هي أفواهُنا، كُلها مفتوحة لك، نتذوق كل تجربةٍ لك، مالحة، باردة، سيئة المذاق، أو صاحبة نكهة فريدة.

وهـا نحـنُ نقتـرح عليـك أفـكاراً جديـدة، لتفتـح أبـواب عقلـك، وتضيـف أنـت لمسـاتك الخاصـة عليهـا.

«ما أجمله أن تُصبح الخباز المهرج» !

تضـع أسـفل قبعـة الطُهـاة التـي ترتديهـا، ألعـاب أطفـال صغيـرة، ثـم تتأرجـح عندمـا تصـل لطاولتِهـم، كأنـك ستسـقط علـي الأرض، ثـم تُسـقط القبعـة بـذكاء، وهـا هـو نهـراً مـن ألعـاب صغيـرة أغـرق الطاولـة، لـن تتخيـل كـم سـيُحبونك ويُحبـون قُبعتـك !

دائمـاً سَـينتظرون هـذا السـقوط السـحري المفاجـئ، كأنهُـم لـم يُشـاهدوه مـن قبـل!،

- وقمـة الإحسـان، أن تجعـل الأكـواب الصغيـرة هـي الأخـرى مـن الحلـوي، يشـربون فيهـا عصيـراً طازجـاً، ثـم يأكلوهـا بعدمـا تشـربت بسـيطاً مـن العصيـر.
- وما أرقاهُ أن تُقدم لكل من يُطعم أفراد عائلتهِ بحُب، حجماً أكبـر بـدون تكلفـةٍ زائـدة، وتصبـح مخبوزاتـك سـبباً للـودِ، ولكن ماذا سنفعل مع محبي النكهات الجديدة والغريبة !!

هل هُناك طريقة نصنعُ بها دقيق من الفاكهة! .. ما رأيك ؟

أما أنتِ يا صانعة الأحذية العبقرية، ها هي أقدامنا تشتاقُ أن تخطو بأولي خُطوات حذائك، أنا وأبيكي نريد حذاء عبقرياً، نريده مبطناً بملمس العُشب الرقيق الناعم، كأننا نسير داخل حديقة مُتنقلة، نُريدهُ يُدغدغ أقدامنا مرحاً، إن أحس منا بعض الحُزن، يُدغدغها حتي نبتسم ونضحك ،حتي نبتسمُ صدقاً أكثر. أتدرين؟ ليت هذا الحذاء بهِ قلبُ يشعُر، يأخذ من يرتديه عُنوة لمن يُحب، إن كان قد أطال الغياب، أو كان مشغولاً عنهُم، يأخذه ولا يُفارق الحذاء قدم صاحبه، إلا إن ذَهب لأحبائه وقضي معهُم وقتاً يُشفي أحُزانهم وآلامه.

أما جدُكِ الحبيب، فكثيراً ما يضلُ الطريق، هل تستطيعي أن تصنعي له حذاء يُرشده؟

إن كان الطريق الذي يسير فيه هو الصواب أم الخطأ؟

لدينا فكرة لكي، ما رأيكِ بصنع حِذاء للمزارعين ؟

يوضع في أسفل الحِذاء ألف بذرة، ومع كل خطوة يمشيها المزارع : يغرسُ الحذاء بذرة، ونوفر عليه تلك الآلات الضخمة، ثقيلة الحجم التي تغرس البذور بالترتيب. ما رأُيك ؟

●●●

أبي ؛

سلامُ عليك، رحمةُ الله عليك وبركات، كيف حالُك؟

والله أفتقِدك كثيراً، جئت لقبرك اليوم لأزورك، أدعو لك وأحكي معك.

تسمعني وتُجيب، دون كلماتٍ كعادتك.

كيف حالُك؟

أتصلك دعواتي ورحماتي لك؟

أنا بخيرٍ وفي نعمة، وأولادي يُرسلون قُبلة كبيرة لك، لكن دَعك مني أنا الآن، ألن تسألني لماذا جِئتُك اليوم؟

هذه الزيارة ليست دعواتٍ لك فقط.

هُناك شيئاً صغيراً بِقلبي، أُريد أن أقوله لك، أُريد أن أُخبرك به هكذا دون ترتيب ولا تنظيم،

عندي أحاسيسُ وكلمات لم أُخبرك بها من قبل كما ينبغي!

ربما كُنت علي استحياء!

أو لم أُدرك أن أخبرك بها كما يجب.

- أولاً وأخيراً وكُل شيء، إني أعتذر، أعتذرُ علي كُل سوءٍ أو عِناد ظهر مني وأنت تُربيني، أعتذرُ إن سببتُ لك جَرحاً، أو ألماً دون أن أدري، تعلمُ أنت هكذا الأبناء واللهِ أعتذر،

- أتعرف ؟ ، كُنت دائمًا في غيابك أحكي عنك !

إن أبي ليس ملكاً ولا فيلسوفا، ولكن هو أعظم رجل بهذا الكون، يلعبُ معي وإن لم نكن نملكُ إلا قدمي وقدمه، كانت قدمك عندي أجملُ من كُل الطائرات، أجملُ من كل المَركبات القديمة والحديثة كلها. أتذكر كيف كُنت تُعلمني؟ كيف كُنت تحملُ قلبي وعقلي ليحيوا حياتهم؟

أتذكر يوم سألتك عن الأبطال والنور الذي نحيا فيه؟ سألتكُ: إني أري أُناساً يحملون نوراً، فمن أين يأتيهم يا أبي؟ أجبتني: إنه لا يا يأيتهُم، هُم من يذهبون إليه.

سألتُك: ومن هُم الأبطال؟

أجبتني: إنهم العباقرة، النحاتين والرسامين المشهورين، وكثيراً ممن يحملون الأثقال في زمننا هذا، إنهم من يضعون مشانق لأرقام قياسية حديثة، ويصنعون حداً جديداً لرقم جديد، إنهم عظماء بالفطرة، ونحنُ مُشجعيهم بالفطرة، ولدوا يحملون رايات الشجاعة وولدنا نحمل مرض الخوف. يا بُنيتي إن سألتِ أحدهم من هُم الأبطال؟ وأجابكِ بهذا النص، إعلمي أنه لا يفهم شيئاً عن البطولة، ولا يليق أن يكون لك صديقاً،

كل مـا يليـق بـه، أن يكـون واحـداً مـن المُشـجعين أو المهزومـين بطريقـك أنـتِ.

إني ما زلتُ أحتفظ في قلبي بكل ما عملته لي.

«أمـا الآن، أُريـدُ أن أُخبـرك أنـي أحبـك، لكـن ليسـت أُحبـك العاديـة هـذه التـي تُقـال، لكنهـا أُحبـك بعدمـا أصبحـتُ أمـاً، وعنـدي أطفـالٍ صِغـار، أدركـتُ مـاذا كنـت تفعـل لأجلـي، أدركـتُ كُل مـا ضحيت بـه، لتجـد إبتسـامة واسـعة علـي شـفاهي».

«رحمة الله عليك وبركات، وشُكراً قدر السماء يوفيها الله لك».

●●●

أبعد ما يكون ؛

«أبعد ما يكون هو مشهد واقعي، ليس مشهد سينمائي علي الإطلاق تحدُث تفاصيلهُ وحبكتهُ الدرامية مع كل فردٍ فينا، دون أي إستثناء، ها هو المشهد، أنا وأنتم كُنا نعيش حياة سيئة، فعلنا فيها أقبح ما يفعلهُ إنسان بالدنيا، لكننا تُبنا، إخترنا طريقاً طيباً، وها نحن بدأنا أول الطريق، سعيدُ أنت بما تشعر بقلبك من طُهر، خطواتِك راقية، راضٍ أنت وهادئ، وأنا قلبي يرقُص علي أنغامٍ من نور، تحملُنا حسناتُنا وأفعالنا الطيبة، تُهون علينا الطريق، وإذا بأفعالنا السيئة التي فعلناها في الماضي، قد دعاها الشيطان لتجلس بجواره، وها هم يجلسون، ينتظروننا في مُنتصف الطريق، ها هم يلتفون حولك قُطاع طُرق بل أشرس، يحملون صورك وأنت مُذنب!

وذكرياتي وأنا سيئة!

ثم إذا بأصواتهم ترتفع، «منِ متي وأنتِ علي هذا النقاء !»

مِن متي وأنت علي هذا الإخلاص والطُهر!

ألا تذكُر الذي سرقت؟

ألا تذكرين الذي فعلتيه أيتُها النقية؟

أم تُحبي أن نُناديكِ باسمكِ السابق أيتُها السيئة؟

«موقف حاسم، لي ولك الإختيار يا صديقي»!

قلبي يبكي، وها أنا حينما رأيت ذكرياتي القديمة، وضعت كفيّ علي وجهي خجلاً!

ماذا سنفعل؟

«لنا أن نستسلم، ننسي غُفران الإله الذي خلقنا، أنقتلُ أفعالنُا الطيبة وحسناتنا الصِغار؟ أنضلُ الطريق؟

نعود إلي سيئاتنا من حيثُ أتينا؟

نستسلم ونعود للقبح الذي كُنا عليه؟

لتلك المشاعر القبيحة؟

لتلك الأحاسيس القاتلة؟

لا، لا أريد أن أعود كما كُنت، لا أُريد!

«هيا يا صديقي، لن نَستسلم، لنذهب، لنُكمل الطريق لنري ماذا سيفعلون بنا»!

وأنتُم يا أفعالنا الطيبة الصغار، يا كُل مُحاولاتنا لنُصبح أنقياء أعلم كم أنتم أقوياء، تعالوا معنا، سَاعدونا لنعبر هذه الأزمة، هيا إنصبوا ساحة عراك، أنت أيها الشيطان، هذه الضربة لك إنها عفو رب العالمين، وهذه الضربات لك، رحمَتهُ، غُفرانه، حُبه لكل من يتوب، ثم تعالي أنتِ أيتُها السيئات، وإن كنتي جبالا وبحار!!

حسنة صادقة واحدة تكفي لقتلك، يا حسناتي الصغار والطيبات، عليكُم بِها؛

«أمُرهق أنت يا صديقي؟، لا بأس، سيزول الأرق عما قريب» أُنظر، ها هو الشيطان والسيئات، قد حملوا أنفُسهم ورحلوا، يتوعدون بِعراك آخر،

«لنحمل أنفُسنا نحنُ ونُكمل الطريق، تشجع يا صديقي، قلبك هذا قوي وإن حدث معك هذا المشهد ثانية

وأردت أن تُصبح سيئاتك وذنوبك أبعد مايكون عنك ؟

فقط خُذ حسناتك وطيباتِك وقاتل.

●●●

لا وقت ،

كما ترون العِنوان، لذلك سنبدأ مُباشرة،

كم سنه سنعيشُ في هذه الحياة؟

(ساعتين وينتهي العُمر)!

تمضي أنت وتتبقي إبتسامُتك وصدقتك، يرويها الطيبون من بَعدِك، يُرسلون ثمارِها لقبرك، تُضلل عليك، أو تمضي أنت والقُبح الذي أصريت أن تفعلهُ، تكرهني إن أخطأت بحقك ؟ لن تُسامحني؟

عَبئ قلبك بسواد الدُنيا وما فيها، وحتي إن جاءتك فُرصة لتنتقم، واللّهِ بعد قتلِي لن تستريح!

لاوقت لنهيمُ في خسارتنا السابقة، عُمرنا الفائِت، أمراضنا وأوجاعنا كُلاً مضي، لماذا تتمسك بِهم لِهذا الحد؟

أسيُحييك ؟

لتعلم، الفاشلون والموتى فقط هُم من يتمسكوا بأوجاعِهم الماضية ليجِدوا عُذراً أو حُجة، لُيخبروا الناس عن آمالهم التي ضاعت !

الدُنيا التي قست!

والشيطان الذي جَلس بِجوارهم، ليُشعل في قُلوبِهم النار، أحقاً تُصدق ما تقول؟

هيا أخبرني، من أجلس الشيطان بجوارك؟

ألا تدري أنك من أفسحت لهُ الطريق؟

لا ولم تكتفِ !

أجلستهُ بين أحضانك، وضعت بين يديه ماضيك وآلامك، يُقلب فيها كما يشاء، وكما يحلو لهُ يختارُ أي جُزءٍ من ماضيك المُؤلم، ثم يبدأ لك بالعرض المُبهر، هؤلاء آلموك، وهذا وبخَك، وهذا قطع عنك رزُقك، وهؤلاء وهؤلاء، يضعهم حول عُنُقِك لتختنق، ثم تسأل لماذا تشعر بأنك تموت؟

البقاءُ لله فيك!

وعزاءً مقبولاً في عُمرك الذي أضعت!

«لا، لن أنصح بشيء، أنت أمامكُ الإختيار؛ إما أن تحيا كميت بماضيك الفائِت المُؤلم!

أو ترفعُ يديك وقلبك لإله السماوات، أن يرزُقك عُمراً جديداً تعيش فيه، إختر أنت ما شئت»

●●●

يا اللّه ؛

يا رحمن، يا واسع،

وحدك أنت تعلم، كم كُنت أنا علي سوءٍ، وحدك أنت تراني، كيف كُنت أنا علي أبشعِ المشاعرِ والصور!

ورحمة منِك وستراً، دائماً كُنت أنت وحدك تدري، يا واسع يا اللّه ها هي كفوفي وقلبي ، سَمعي وفؤادي وكُل ما فيا، ها هُم جميعاً ، ها هي عيناي التي أنظرُ بِها، والكلِمة التي أنطقُها خُذهُم جميعاً ، إغفر لي ما فيهم من سوء ثم رُدهم لي، أشعُر أننا تعبنا من ذنوبنا، معاصينا، فبعزتك وجلالك وواسع سُلطانك، نقِهم لي وأعدهُم هدية طيبة من عِندك، ومن فينا لا يُحب عطاياك يا اللّه!

ولي منِك طلبات كبيرة ودعوات أكثر،

وعلي كثرتِها وكِبرها، كُلها في رحاب سُلطانك ورزقك كنسمة هواء صغيرة، وأنت إله البحارِ والنسمات والكون كُله،

يا اللّه، أريدُ طريقاً واسعاً ملئُ بالأرزاق، أُكمل عليه باقي حياتي، أُكملُ عليه عفوك الذي عفوت، والنقاء الذي سترتني به،

وفي لحظة تجتمع الملائكة، وكُلاً يضع طريقاً أمامي صنعوه لي بأمر الله، هذا طريق رحمة، وهذا طريق أمل، وهذا طريق إطمئنان. وها هي الملائكة يُخيروني، أي طريق تُريدين ؟

ثم إذا بي أُسلم وجهي للرحمن، أضع قلبي ونفسي بين يدي رحمته وأدعوه،

«يا الله، جميلة كُل هذه الطُرق، لكني أُريدها جميعاً، من فضلك ورحمتك، وكُل البشر يُخبرونني أنه مُستحيل، وأنت ربي وربُ البشر، فيا الله تقبل طَلبي من واسع رحمتك»

فإذا بالرحمن يأمُرهُم، أن اجعلوا لها الطُرق جميعها واحداً، خُطوة من الرحمة والثانية من الأمل والثالثة من الإطمئنان.

وها أنا أسير وأسير، فيا الله إقبلني حتي أصلُ إليك وألقاك، حتي أصلُ إليك وألقاك.

●●●

أتوضأ ؛

ثُم أذهب للفِراش، وبينما أبدأ بِسم اللّه،

أجدُ الكعبة ككُل ليلة تحتضِنُني، طِفلة وُلدتَ تواً، لا أعلمُ لي أباً ولا أُماً سِواها،

تُرتل لي سورة يوسف وأنا من خلفِها أُردد، ثم أذهب لأضع قلبي بماء زمزم، ليرتاح من صخبِ الكون، وهكذا كُل ليلة، لعل مُحمدٍ بن عبد اللّه يَطوفُ بِها يوماً فأراه.

لكن هذه الليلة طلبتُ منها أن تأخُذني في نزهة، فوافقت، أشارت لنجمة فى السماء حملتنا بين نِورها وذهبت، طارت بِنا النجمة بين الكواكب والشموس، وأنا علي ظهرِها أجري وألعبُ وأضحك، ألمسُ وجه الشمس هَذه، وأُقبلُ وَجه القمر هذا، مر الوقت هكذا، حتي توقفت بِنا أمام بيتاً ضخماً من نورٍ، علي ضفةِ نهر، تُحاوطه الملائكة، «أيتها الملائكة، يا عِباداً مِن عِباد اللّه جِئتكُم بالجميلة، فأخبروها»، يا تُري من يسكُن في هذا البيت ؟

وماذا أحضر من حياتِه في الدنيا ليجد كُل هذا النور؟

حملني ملاكُ جميل بين أنوارِه، ثُم قال: أيتُها الجميلة،سأخبركي لمن كل هذا النور،

إنهُ لرجلٍ عادي كباقي البشر، لم يكنُ قديساً ولا نبياً! لكن، له يدُ كافحت من أجلِ حلالٍ طيب، والأُخرى حَنت علي فقيرٍ بائس.
إنه لفتاة لها ذنوبٍ وخطايا كالموج، تتوب وتعصي، ثم تتوب وتعصي حتي فاضت عيناها أملاً في عفو الله

إنه لبشر عَلم أن هُناك إله واحداً لهذا الكون، فلم يمشي هائماً هكذا علي وجهه، بل ظل يتحسس من نور الله حتي عَرفهُ، كل هذا النور،
خُلق لكل من حاول أن يفعل طيباً في حياته، فقط لكل من حاول.
قالها وتركني، أتأمل باقي البيت.

ثُم ها هو ملاك جميلُ آخر، يبتسم، يُشير لي،

تعالي، أحضرنا لكي مفاجأة ونُزهة أكبر، ها هو طريق نوراني إني أراه، مفروش لؤلؤ أخضر، يحملونه الملائكة لي، سأذهب معه يا تُري ما فيه؟

●●●

لنتصدق ؛

لاأقصد كُل ما في جيوبِكُم، لا أقصد كُل المِليارات التي لا نملُكها، أقصدُ صدقة صغيرة مِنك، وصدقة أصغرُ مني، ثُم نجمعها بجِوار بعض، وها هي قد إكتملت حاجة مُحتاج.

أتدرون؟

الكُل يَذهب، والصدقات تبقي علي الأبواب تستقبلُ الملائِكة، أنتِ ووالدكِ الحبيب، يُمكن أن تشتروا حقيبة مدرسة مُلونة، لطفل يجلس صامت علي أول الطريق، توفي والده أمس ونسي شراء الحقيبة.

وأنتِ يا صديقتي، تُحبين الطهو والحديث مع الأطفال، ساعديه بفطورِه الصباحي، وسؤال علي قلبهِ كيف أصبح ؟ حتي يُجاوبكِ صِدقاً أنه بخير،

وأنت يا صديقي القوي، صاحب العضلات المفتولة، سأُعطيك فاكهة لجارِنا الوحيد ذي السبعون عام، إحملها لهُ و قَبِل رأسه نيابة عني، أعطِ له كَتفك يتسندُ عليه، إن أحب تمشيه، أو إن زار طبيب.

وأنتِ أيتُها الجميلة ساعدينا، إشتري حذاء جديد لعاملٍ بسيط، تقيه حر الصيف وبرد الشتاء، أما أنتِ يا صاحبة القصص وحِكايات الأطفال، هيا أبتكري قصه عن الصدقات

قصةٍ واسعة كخيالك، حَنونة كقلبِك، عن رَجُلاً طيباً تصدق بقِطعة أرض وأقام بها مَدرسة للأطفال، مَدرسة مُحاطة بالنخيل، ظِل الفِناء شجر زيتون يُنشد، بها مِأذنة وكِتابُ مُقدس ليقيم كُلاً صلاته، ومُختبرٍ ومسرحٍ ومرسمٍ، ليُقيم كُلاً فَنهُ.

يا من تصدقت بقطعة الأرض هذه، أريدُ أن أُخبرك رِسالة من شجر الزيتون «إني أرسل لك دعواتٍ بالخير مع كُل ثمرة، مع كُل حرفٍ جديد تعلمهُ طِفل، هَون عليه حياتهُ وجعلها أجمل».

«حينما نتصدقُ صدقاتٍ بسيطة، علي قدر ما نملُك، وبالطريقة التي نُحب، نتساءل» ؟

«هل يحقُ لنا أن نَعش عُمرنا كُله في هذه اللحظة الطيبة، التي تصدقنا فيها؟

أم أن الوقت سيُقاضينا ليمُر!

أتتسع جبهة الكون لنُلقي عليها قُبلة إمتنان ؟ أم ستفيضُ القُبلة علي وَجنتيه؟

ها نحنُ معاً قد فعلناها، الصبيُ بخير، العجوز يستطعمُ الفاكهة، الحِذاء يتجول؛ حينما نتصدق، نشعُر بمشاعر رقيقة تُلامس قُلوبنا، تشعر كأنك تائب يُصلي الفجر مُنفرداً في حِجر إسماعيل،

وكل ما تسمعهُ نَغم، يُعزف علي صوت مُقرئ يرتلُ سورة مريم من بعيد، وكُل من بالكون سِربُ حمامٍ خُلِق تواً لا يدري، أيطوفُ بمكة ؟

أم يُجاور النبي الكريم؟

وحينما يسألونك كيف حالكُ بعد صَدقة صغيرة؟

تُخبرهم،

«أشعُر أن قلبي كبِذرة ريحانٍ عَطشي، تبناها بِئرُ زمزم»

●●●

حُلمًا مُلهمًا؛

«حُلماً مُلهماً؟!

أيتُها الكاتبة، قد تحملناكِ بما يكفي، ورود وحُب هُنا وطمُوحٍ هُناك،

ألا تجدين أن عنواناً بهذا الإسم حُلماً وتُضيفين عليه مُلهِماً، قد يجعلُني أثور في وجهك وأصرخ، لا ، لا تُكملي، لا تفهمين شيئاً أنتِ عن الحياة، مازالتِ صغيرة، لا تعرفين شيئاً أنتِ عن المسؤوليات والأعباء، فضلاً أُصمُتي،

«يا سيدي لا داعي لهذهِ النظرات، لا داعي أن تُصدر كلماتٍ قاسية علي قلبِك، قبلما أشعرُ أنا بقسوتها،«دعونا ننظر سوياً من جانب آخر، دائماً ما تختلف مشاهد الحياة:

قد يكون لديك أطفال ورزقُكَ بسيط، تُحاول وتُجاهد، طَابت لك الدُنيا ورِزقاً واسعاً ينهالُ عليك، وقد يكون لك حبيبُ مريض ولديك أعباء علاج أو كثير من الألم، شفاك ربُ العبادِ وعافاك،

قد يكون معك حقا ، قد تري لا داعي لحُلماً مُلهِماً في حياتنا نعيشُ له. لكن قلبي يري شيئاً آخر،

يـري أن كُل هـذهِ الأعبـاء، كُل هـذا الألـم، يـزول فقـط عِندمـا نضـعُ أمامنـا حُلمـاً مُلهمـاً، كُل يـوم نسـير لـه خُطـوة صغيـرة؛ كطفـل يحبـو .. يقـف .. ثـم يسـير أولـي خَطواتـه، وهكـذا حتـي لا يسـتطيع أبويـه الإمسـاك بـه، حتمـاً سـيصل.

يـا صديقـي، أخبرنـي بـاللّهِ عليـك، مـاذا بعـد الطعـامِ والشـراب؟ مـاذا بعـد تربيـة الأولاد ؟

مـاذا بعـد أن تمتلـك الكـون كُلـه، دون حُلمـاً مُلهمـاً، تسـتيقظ وتبيـت مِـن أجلـه؟

دون أن تضـع رأسـك مـن شِـدة التعـب، فتجـد ابتسـامة جميلـة هادئـة قـد خرجـت مـن قَلبِـك، دغدغـت شـرايينك حتـي وصلـت لِشـفاهك واسـتقرت عليهـا.

يـا كُل مـن يعيـش بهـذا الكـون، واللّهِ جمـال الحيـاة سـيأتينا فقـط، عندمـا نُحـاول أن نصنـع طـوال حياتِنـا حُلمـاً مُلهمـاً.

●●●

من أين ؟

«كيف ؟ بأي منطق !»

أنا أيضاً كانت تُحاصرني هذهِ الأسئلة، حينما يَجيئُ لقلبي إلهاماً بحلم أو بأمنية، كان الواقع الذي أعيشه يقذفُني بها، ليتهُ كان يَسألُني ويَصمُت، لكنهُ كان يُملي عليا إجابات قاسية، «كيف ستُحققين أحلامكِ أيتها الطموحة؟!

أنظُري لمن حَولكِ، حالِهم سيئ ورزقِهم ضيق،

هكذا ستكونين مِثلهم، كانت لديهم أحلامهم هُم أيضاً،

ثم يضحك ضحكات إستهزاء صاخبة،

«يا صاحبة الأحلام أنتِ والطموح، انظري لقطعة الأرض التي تقفين عليها، والضيق التي تحملهُ، أُنظري للسواد والبؤس الذي غَطي الكون، أُنظري للبؤساء الذين يحملون أحلامهِم المُمزقة.

وأخبريني يا هذهِ من أين؟

– أأنت أيها الواقع وأيتها الأوضاع والظروف أصحابُ الأرزاق!

أُنظر أنت لضيق الأرض كما يحلو لك، وسأنظرُ أنا لإله الأرض والسماوات، والسحاب الذي يُمطر عليا، أخبرني أنت .. أيها الواقع، إن ذهبت لمِلكٍ أو أميرٍ،

وأخبرتـهُ بِمـا في قلبـي مـن أُمنيـات، وأنـا أعلـم كـم يُحبني،

أسيرُدني ويُغلق الأبواب في وجهي؟

فكيف الحال مع إله الأُمراء والملوك؟

وضع اللّه فوق رأسهِم تاج، رزقهُم أرضاً واسعة يتجولون فيها.

فكيف لا يرزقني وهو يُحبني؟

«حاشاه يَرُد لي إحساني وعملي بسوء،

حاشـاه بعـد كُل نِيـة صالحـة ومجهـود صـادق، يجعلـكُ تقتـرب منـي وتُضيـق عليـا الحـال،

ثم أخبرني أنت، ماذا عن كُل السُعداء بالكون»؟

من حقق أحلامهُم؟أُمنياتهِم؟

كيف فعلوها؟

أخبرني أنت من أين؟

●●●

ستون عامًا؛

«صديقي وصديقتي العجوز، أتدرون شيئاً» ؟!

إن قاربنا خَمسون أو سِتون عاماً، لن نفعل شيئاً سوي أن نمرض!

نجلس مُقعدين، فقط نُراقب الأحفاد من بعيد، نقضي أياماً وأعواماً قبل الستين نُفكر،

- «يا تُري كيف نستقبلُ حياة العجز والموت، عندما يزيدُ بنا العمر؟

«فقط» نأكُل وننام، نتجرعُ دواءً ليتهُ يُسكن بعض الألم!

نعتصرُ لأن الشيب بدأ يملأ الرأس، وملك الموت ينتظرُ علي الأبواب!

ها نحن نرتبُ أَسرةِ المرض لنستسلم لها، أفعلاً صدقنا هذه الأكاذيب؟

هيا لنُرتبها، فقط لنُكمل الحياة، مازال بالعمر لحظاتٍ باقية، لنفعل فيها شيئاً طيباً، لا بأس بالعمر الذي مضي، لا بأس علي كُل ما كُنا نريد ولم يكُن، نحنُ مازلنا هنا، لنقتل هذا اليأس، لنضعُ علي قبره لافته (تَصريح قتل بأمر من الحياة) .

لنذهب ونغرسُ بِذرة للحُلم الجديد،يا صديقتي أتذكري أشغالك اليدوية؟

هـي الأكثـر مُتعـة لـكِ، كُنـتِ تنظريـن لتلـك الفتحـة الصغيـرة بالمِخيـط، كأنـكِ وجـدتِ بابـاً سـحرياً يطـلُ علـي مهـرجٍ، يُخبـركِ فُكاهـات فتضحكـين، تُدققـين الصنـع، تعرفـين مـن بـين ألـف عُـروة، إن هنـاك واحـدة مائلـة تُفكـر في الهـروب!

تُحاوطينها بلمسةٍ حانية، فتعود مكانها بين التصميم.

«هيا لنبدء، لنصنعُ معرضاً بسيطاً، حتي وإن كُنتِ أنتِ زائرتُهُ الوحيدة!

لنصنـعُ ألوانـاً وأشـكالاً، تُراثيـة وحديثـة، هيـا نذهـبُ للمحـلات الضخمـة ونعـرض المُنتجـات، نُخبرهـم أنـكِ الوحيـدة التـي مازلـتِ تُقبلـين الخيـط وأنـتِ تُهذبـين أطرافـه.

«يـا صديقتـي، إن لـم تجـدي يـداً تمتـدُ إليـكِ، أرجـوكِ كونـي أنـتِ تلـك اليـد والسـاق، وتلـك الكلمـات الطيبـة التـي تصـفُ جمـالِ صُنعـكِ، كونـي أنـتِ الجمهـور، الزائريـن والمُشـجعين إن أمكـن،، «وأنـت يـا صديقـي الجميـل العجـوز، أيـن المبانـي المُلونـة، صاحبـة الطـراز المعمـاري الأنيـق؟

كُنـت أقـفُ أمامهـا لسـاعات أتأمـل في جَمالِهـا، لا أدري كيـف يختـار مالكوهـا الأدوار؟

أيمكثون علي أسطُحها بين النجوم؟

أم يتأرجحون في النوافذ الواسعة!!

كُنتُ أشعر أنها تبتسم، فيها حياة، رغم أنها لا تزال مُجرد تصميم علي الورق.

«يا صديقي العزيز، لا بأس إن أصبحتَ تَرسُم المبني في عام، أو يستغرقُ قرار نقل حائط شهرين كاملين، لا بأس، فقط ما يَهُم أنك بدأت، أتدرون ؟ ما أطيبُها أن تأتيني الوفاة، وأنا أُدون سطراً صادقاً في كتابٍ جديد، تأخُذني الوفاة وتترك أقلامي وسطوري، لِيُكملها كاتبُ أصدق، وما أجملُك وأنت تُحاول تعديل قِطعة خرسانية بُنيت خطأ، ثم تتوفى وأنت بأحضانها، وما أجملُها وفاة وأنتِ تُطرزي قِطعة ثياب، وتضعي آخر قطعِة خرزٍ ملونٍ بها، ليكتمل التنسيق!

إنها الوفاة الأكرم والأجمل والأرقي علي الإطلاق، أتدرون صديقتي وصديقي العجوز؟ ها هو النقِاش اليومي، الذي يدور في حياتنا،

هيا لنرُد عليه بالقوةِ الكافية

اليأس : ستِون عاماً أنتِ؟

هيا زُفي لكِ قبراً يا عروس.

حَنطي كُل أحلامك، وأُمُري أشغالكِ اليدوية بالجلوس .

وأنت يا صاحب المشيب والمباني، صمِمها علي شكل وجه عبوس .

الحياة :- (يا يأس أنت لا أنا المقتول)

سأُهديك قبراً علي أحدث التصميمات.

أُطرز علي صدري وِساماً « أنا القاتل».

بأزهي ألوان العُروات.

«حتي إن أصابني للأحرفِ نسيان»!!

سأظلُ أمحو إسمُك من جميع الكِتابات.

«هيا نستند علي قلوبنا، نَدقُ الطبول ونعزفُ النغمـ،

نُعلن مراسم بدء حياة جديدة، حتي وإن مَضي منِها أكثر من ستون عاماً.

●●●

أتذكُر ؟!

هـا نحـنُ قـد وصلنـا قُـرب النهايـة، مـرت الأعـوام كفجـرٍ وضُحـي مُتتالـين،

ذهبـت الشـمس، قـد قضـت بِحُـبٍ مـا عليهـا مـن إشـراق، هـا هـو الغـروب قـد أقبـل، هـا نحـنُ كثيـراً مِـن المشـيب وكثيـراً مِـن الذكريـات،

أتذكُر؟

في يـومٍ مـا أحببتُـكَ، طرقـت بـاب قلبـي لأفتـحُ لـك ، فأسـكنتُك وحـدك بالفـؤاد، وأصبحـت تَجاعيـد وجهِـك طُرقـاً أسـيرُ فيهـا وأبيـت.

أتَذكُـر فُسـتان الزفـاف، طرحتـهِ المُنسـدلة وخطوطـهِ الرقيقـة، كأنـي عـروس جـاءت مـن إحـدى روايـات الأميـرات، كُلِ السـنوات تمـرُ كطيـفٍ إلا لحظـة ارتـداؤه،،

«ويـوم غضبتُ مِنـك، جِئتك أبكـي، كـم أنـت سـيئ، أنـا لا أُحبُـك أيهـا الرَجُـل، لـن أتحـدث معـك باقـي عُمـري كُلـه، كُنـت تتحَملنـي، وتعـرفُ أنـي سـأُجيد هـذه الكذبـة لدقيقتـان لا أكثـر، ثـم أبـوحُ لـك حبـاً بِكُل شـيء.

«كُنت في أوائل شهور زواجنا، وكُنت أتدرب علي طهو الطعام، كان هُناك يوم غريب، ظَلَلْت مِن فجرٍ أطهو، وبالنهاية ... أحضرتُ لك كوباً من القهوة، وقِطعة كعكة مُفحمة.

كم كان جميلُ وجهِك المُتفاجئ، والجوع يتساقط من بين عينيك، وصلت ضحكاتي للسماء فتبسم طائراً هو الآخر علي صداها،،

أتذكُر؟

«قصص الرعب التي كُنت تحكيها، لأحتضنُ يداك دوماً، وظل العفريت الذي سَكَن بيتِنا ليومين، كُنت أنت خلف الستار ليلاً تأكلُ ما منعك مِنهُ الطبيب،

«يا حبيبي، لم تعُد الأماكن كما كانت،

لكن إبتسامتكُ مازالت قصرُ أُقيمُ فيه من ألف سنة أو يزيد،

ليت الأعمار تمتد مازال بقلبي فائض حُبٍ، لمن أوُدعهُ؟

●●●

ما العــجب!

هدوءٍ ثم عُذراً!

هدوءٍ من حبيبي، لنضعهُ جنباً بعضاً من الوقت، ثم عُذرا،

لِجُمل أثقلت في تناول وجبة دسِمة من اليقين، مُحاولة لفك رموز

مُعضلة قلبية، سُميت «الحب»!

لم يرد لها أحكاماً، ولا أعرافاً،

ولا منهج ولا بادرة «بديهية» حتي!

وجبة دسِمة من اليقين المُحلي بِحوارٍ حكيمٍ مع القارئ.

ليزداد مِنه هو والكاتب ثِقة وثباتاً مطلوبين للإستكمال.

فلنبدأ،

بسم الله

لسنا «مُنعمين» لهذا الحد ! ولا إدراكِنا خاوٍ لهذه الدرجة!

ولا يُصيبك مِنا ترفُ أيها القارئ، أو أفلاطونية زائدة فتجزع!

ولا نقف أنت وحياتك، وأنا مُذبذبين،

أمام حكايات حب اُستطعمت «فقط»،

لكونِها مِن محصود المدينة الفاضلة!

وإن كان فِكرُنا هكذا!

فَكُتلهِ فراغٍ نَحنُ، مُجتمِعة علي لا شيء!

عُذراً، قُلتها سابقاً لي ولك،

«لنا كُل الحق إن رأينا حُباً وأحسسنا أننا مُغربين»!

وإن كُنا نحنُ القاصين و الرواة!

وإن كُنا نَحنُ العناصر والتسلسل!

المشهد والإضاءة ! و ذُروة الأحداث!

«ليس الحُب مُتحف أثري جاء مِن عصورٍ فانية، ولا إمبراطورٍ فَخيم، إختار ورسم ملامح المُحبين!

رَسم علي من يجب؟ وأيُ الصفاتِ والسِمات!

شريطته .... حُروبٍ ثُلاثية الجبهات علي حدود بيوت المُتحابين!

«ألم يُكتب علي العاديين أن يذوقوه»؟

أكَتب إعداداً للنهايات المأساوية أنها الصادقة الوحيدة!

عُذراً ثم عُذراً ثُم كل الإعتذار!

أَجب سؤالي دون مُبالغة!

قارئُ صادقُ أنت، مع كاتبة صادقة!

لدينا هُنا سؤالٍ فيصلُ وقاطع!

وإجابتهُ لا تحتمل نِصفُ النفي ولا نِصف الإثبات!

أجب، أجب وفقط، ما العجب؟

ما العَجب لأحبة ليسوا أمرؤ القيس؟

لم يُخلقوا علي سفحِ رامَة، ولم يجدوا فقر عنترة حاجزًا!

لم يخضبوا الكَف علي الفراق!

إنما أملسوا علي الفُؤاد ليهدأ لينتظر!

لم يُغَنوا أناشيد تاج محل بِقصرِها، ولا إرتدوا سيوف أنطونيو وتيجان أميرتهِ!

أليس كُل متفاهمين قِصةِ حُبٍ أُسطورية... وإن لم تروَ !!

قد يَعشق بسيط مِن الهنود الحُمر، خَشِن الردود، رَقيقةُ الفتيات علي الجانبِ الآخر من زامبيا!

ويهيمُ وسيمُ مِن عسقلان في جارته ذات الأوزان الثقيلة!

لِم المقاييس والسنتيمترات!

لِم القيود!

لِم كُل كُتيبات الحُب «التفاهم»، ملِكُ مِن الروم، وصعلوكة من الحبشة!

لم دائما أفلاطون هو الحاكم والقاض!

وجمالُ إله الحب هو الدليلُ والموضح!

قِصص الحب لا بد أن تُشكلها الحوريات، و تخُطها أجنحة الملائكة،

شُجيرات الزعفران هي المُتدلية، لا غيرها رفيقاً للنجوم!

أجواء خيالية باهظة المشاعر، مُرصعة بالـ مبالغة!

إن وجدت أحداثُ «فائضة، مسكوبة» وجد الحب!

هيا... هيا.. لـ نُكَوم قلوبنا نحنُ العاديين ونرحل!!

يا قارئ، أجب؟

أتحُب؟ إذاً فسطِر حبيبكَ في قلبك، وإن جاءك مُتعجباً!!

فاتركهُ، وإن سألك أتُحب !! اقذفُه في وجههِ يقيناً.. ما العجب!

●●●

اعتراف

لـم أعـش تفاصيـل هـذه الحيـاة بنفسـي، لكنـي عِشـتُها في قلـب كل مُتحابـين صادقـين،

كُنت أنا النافذة التي يتكؤون عليها، وزهرة الريحان التي يَرونها،

كُنت أنا اللحن العذب الذي يرقصون علي نغمِه،

لحظـة الضيـق التـي مـرت بِهـم، والقُبلـة التـي رُسـمت علـي وجـه أبناءِهـم.

لم أكُن بطلة الكتاب!

لكني عِشتُ مشاعر صادقة جميلة،أكثر من كوني البطلة.

●●●

فهرس	الصفحة

إهداء:..... ٥

ذوبان الأحلام:..... ٧

خطأ إملائي:..... ١٣

حبيبي:..... ١٧

ميثاق الوضوء:..... ١٩

يُحكي:..... ٢١

هذا بيتُنا:..... ٢٤

فندق الأواني الفارغة:..... ٢٧

وإني أفتقدُك:..... ٢٩

بالبيت رجُلاً غيرك:..... ٣٠

ولكن:..... ٣٢

فُتات الملامح:..... ٣٤

تكبيرة الممات:..... ٣٧

ياحبيبتي إني ها هُنا معكِ:..... ٣٩

هل لكي أن تعذُري؟..... ٤٠
أيتُها الإبتسامة:..... ٤٢
بدون سبب:..... ٤٣
لنُغني:..... ٤٥
أسراري الصغيرة:..... ٤٧
أنا وأنت:..... ٤٩
من يحكُم؟..... ٥٢
لسنا آله:..... ٥٥
كذب:..... ٥٧
فِراق:..... ٦٠
كيف حالك قلبك وهو وحيدا:..... ٦٣
ملائكة:..... ٦٤
من أنت؟..... ٦٧
لماذا؟..... ٧٠
لن أضربك .. سأضرب لك:..... ٧٣

الفيل أم النحلة؟..... ٧٦
الخباز وصانعة الأحذية:..... ٧٩
أبي:..... ٨٢
أبعد ما يكون:..... ٨٥
لا وقت:..... ٨٨
يا اللّٰه:..... ٩٠
أتوضأ:..... ٩٢
لنتصدق:..... ٩٤
حُلماً مُلهماً:..... ٩٧
من أين؟:..... ٩٩
ستون عاماً:..... ١٠١
أتذكُر؟..... ١٠٥
ما العجب؟..... ١٠٧
أعتراف:..... ١١١

حقوق الطبع محفوظة للناشر

أطلس

للنشر والإنتاج الإعلامى

يحظر نشر أو اقتباس أى جزء
من هذا الكتاب إلا بعد الرجوع
إلى الناشر